

الغدير والمعارضون

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي





دار السيرة

طباعة نشر توزيع

الغدير والمعارضون

دار السيرة

طباعة نشر توزيع

هوية الكتاب

اسم الكتاب :	الغدير والمعارضون
المؤلف :	العلامة المحقّق السيد جعفر مرتضى العاملي
الناشر :	دار السيرة ـ بيروت ـ لبنان / قم ـ ايران
المطبعة :	مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي
الطبعة :	الطبعة الثالثة
التاريخ :	١٤١٧ هـ.ق / ١٣٧٥هـ.ش / ١٩٩٦م
المطبوع :	٢٠٠٠ نسخة
السعر :	٣٥٠ تومان

جميع حقوق الطبع محفوظة لدار السيرة

ص . ب ٣١١٥/٣٧١٨٥ قم ـ ايران

ص . ب ٤٩/٢٥ بيروت ـ لبنان

الغدير والمعارضون



العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

دار السيرة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

وبعد:

فان بحث «الغدير والمعارضون» قد عالج بعض ما يرتبط بقضية الغدير، بطريقة موجزة، ولكنه ولا شك قد سلط الضوء على أمر قلما تعرض له الباحثون والدارسون لقضايا التاريخ والإمامة. هذا الامر الذي من الضروري ايضاح والفات الانظار إليه، ليحتل موقعه المناسب في التصور العام لحقيقة ما جرى بالنسبة لأخطر قضية في تاريخ الإسلام واشدها حساسية.

وقد ظهر من خلال هذا البحث: أن ايضاح الواقع التاريخي، ومعرفة كل الظروف والاحداث التي حاطت بهذا الأمر من شأنها أن تحل الكثير من العقد، وتزيل الشبهات التي حاول المغرضون أن يثيروها حول طبيعة هذا الأمر، وغاياته، وظروفه التي نشأ فيها.

على أننا لا نظلم أحداً إذا قلنا: إنه ليس من حق أي كان أن يشك في هذه القضية، فانها من الأمور الثابتة، التي لا يجوز أن يرتاب فيها أي عاقل أو منصف وذلك لصراحة النصوص القرآنية، والتواتر بل تواترات قاطعة للغدير، مع صراحة الدلالة في النصوص النبوية المثبتة لامامة علي عليه السلام

فمحاولة إثارة الشبهات في الدلالة القرآنية، بادعاء أنها ظاهرة، وليست نصاً، أو التشكيك في سند أو دلالة النصوص النبوية لا ينبغي الوقوف عندها، والالتفات إليها. وعلى الإنسان أن ينصف نفسه ويحترم ضميره ووجدانه، وإنسانيته. ففي ذلك رضا الله سبحانه، وهو ولينا وهو الهادي إلى سواء السبيل

جعفر مرتضى العاملي
٩/ ٢/ ١٤١٧هـ.ق

تقديم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين . واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

وبعد .

فإن القضية التي عرفت في تاريخ الإسلام بـ « قضية الغدير » تعتبر من أهم القضايا الإسلامية ، وأشدها خطورة وحساسية . وذلك لأنها تمثل المحور والأساس الذي يتم من خلال الموقف منه تحديد الإتجاه العام للإنسان المسلم ، ويرتسم خط مسيره إلى مصيره ، إن من الناحية العقائدية ، أو الفكرية ، أو في نطاق التشريع ، أو في مجال الإرتباط الشعوري والعاطفي .

وعلى أساس ذلك كله يكون رسم العلاقات في كل ما ومن يحيط به وتحدد المنطلقات ، وتتكوّن الارتباطات، وتتشكل العوامل والمؤثرات .

ولأجل ذلك ، فإن البحث في هذه القضية ، وإيضاح ما لها من أبعاد ، ودلالات ، والتعرف على ما اكتنفها من ظروف وملابسات ، يصبح بالغ الأهمية لكل مسلم يؤمن بربه ، يرجو ثوابه ، ويخاف سخطه وعقابه في يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار .

وقد جاء هذا البحث المقتضب ، الذي بين يدي القاريء الكريم ـ والذي نشر في سنة ١٤١٠ هـ.ق في مجلة (تراثنا) التي تصدر في قم المشرفة ـ ليوضح جانباً مما يُعتَقَدُ أنه لم ينل قسطاً كافياً من العناية من قبل الباحثين والمحققين ، أو هكذا خيِّل لكاتبه على الأقل .

وغني عن القول هنا : أن نظرةً عابرةً يلقيها القاريء على هذا البحث سوف تجعله مقتنعاً : أنه قد كان بالإمكان اثراؤه بالنصوص والمصادر بصورة أوسع وأتم ، وأوفى مما هو عليه الآن .

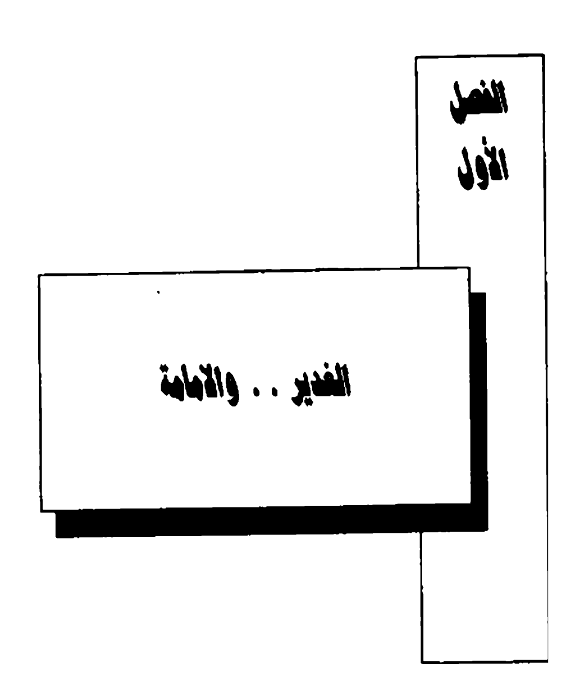
إذ من الواضح : أن ما ورد فيه من نصوص ومصادر ما هو إلاّ غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، وكله يؤيد بعضه بعضاً ، ويشد بعضه أزر البعض الأخر . .

فإلى القاريء الكريم عذري ، وله خالص حبي وشكري .

ومن الله نستمد العون والقوة . وهو ولينا ، وهو الهـادي إلى سبيل الرشاد والسداد .

والحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد وآله .

جعفر مرتضى العاملي


الفصل
الأول
الغدير .. والامامة

ليتضح ما نرمي إليه

إن من المناسب قبل أن ندخل في الموضوع الذي هو محط النظر ـ أن نشير إلى تفسير تاريخي مقتضب لمصطلح شائع ومعروف هو مصطلح :

« حديث الغدير »

فنقول :

إن كلمة (حديث الغدير) تتضمن إشارة إلى حادثة تاريخية وقعت في السنة الأخيرة من حياة الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم) . وبالذات في الأشهر الأخيرة منها .

حيث إنه صلّى الله عليه وآله وسلم قد حجّ حجته المعروفة

بـ « حجـة الـوداع » فلمـا قضى منـاسكـه ، انصـرف راجعـاً إلى المدينة ، ومعه جموع غفيرة تعدّ بعشرات الألوف من المسلمين ، فلما بلغ موضعاً يقال له :

« غدير خم » .

في منطقة الجحفة ، التي هي بمثابة مفترق طـرق ، تتشعب منها طرق المصريين والمدنيين والعراقيين .

نزل جبرئيل عليه في ذلـك الموضـع ، في يوم الخميس في الثامن عشر من ذي الحجة بقوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الرَّسُولُ بَلّغ ما أُنزل إليْكَ مِنْ رَبِّك ﴾ .

حيث أمره الله سبحانه أن يقيم علياً إماماً للأمة ، ويبلغهم أمر الله سبحانه فيه .

فما كان من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن أمر بـردّ من تقدم من النـاس ، وحبس من تأخـر منهم . ثم صلى بهم الظهر ، وبعدها قـام بهم خطيبـاً على أقتاب الإبـل وذلك في حـر الهاجرة . وأعلن ، وهو آخذ بضبع علي (عليه السلام) : أن علياً أميـر المؤمنين ، ووليهم ، كولايـة رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) لهم . حيث قال : من كنت مولاه فعلي مولاه « قالها ثلاث أو أربع مرات »اللهم والِ من والاه ، وعـادِ من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله .

فنزلت الآية الكريمة :

﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

ثم طفق القوم من الصحابة يهنئون أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وفي مقدمتهم الشيخان : أبو بكر وعمر وغيرهما من المعروفين من صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[1] .

هذه صورة موجزة عن هذه القضية ذكرناها توطئة ، وتمهيداً للبحث الذي هو محط نظرنا ، فإلى ما يلي من مطالب وصفحات .

توطئة ونمهيد

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل ، فما بلّغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[2] .

نزلت هذه الآية الشريفة في حجة الوداع ، لتؤكد على لزوم تبليغ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ما أُمر به من أمر الإمامة . وولاية علي عليه الصلاة والسّلام على الناس . كما ذكرته المصادر

---

(١) راجع : الغدير للعلامة الأميني ج١ ، ص٩ ـ ١٢ وغيرها من الصفحات .

(٢) سورة المائدة الآية٦٧ .

الكثيرة . والروايات الموثوقة . . . ولسنا هنا بصدد الحديث عن ذلك .

وقد يرى البعض : أن هذه الآية قد تضمنت تهديداً للرسول نفسه ، بالعذاب والعقاب إن لم يبلّغ ما أنزل إليه من ربه ، وفي بعض الروايات : أنه (صلّى الله عليه وآله) قد ذكر ذلك في خطبته للناس يوم الغدير ، وستأتي بعض تلك الروايات إن شاء الله تعالى .

ولكننا نقول : إن التهديد الحقيقي موجّه لفئات من الناس كان يخشاها الرسول ، كما صرح هو نفسه (صلّى الله عليه وآله) بذلك ولم يكن النبي (صلّى الله عليه وآله) ممتنعاً عن الإبلاغ ، ولكنه كان ممنوعاً منه ، فالتهديد له ـ إن كان ـ فإنما هو من باب :

« إياك أعني ، واسمعي يا جارة » .

وهذا بالذات ، ما نريد توضيحه في هذا البحث ، بالمقدار الذي يسمح لنا به المجال ، والوقت فنقول :

الغدير ، والامامة

إن من يراجع كتب الحديث والتاريخ ، يجدها طافحة بالنصوص والآثار الثابتة ، والصحيحة ، الدالة على إمامة علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، ولسوف يجد أيضاً : أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم لم يأل جهداً ، ولم يدّخر وسعاً في تأكيد

هذا الأمر ، وتثبيته ، وقطع دابر مختلف التعلُّلات والمعاذير فيه ، في كل زمان ومكـان ، وفي مختلف الظروف والأحـوال ، على مرّ العصور والدهور .

وقـد استخدم في سبيـل تحقيق هذا الهـدف مختلف الطرق والأسـاليب التعبيريـة وشتى المضامين : فعـلاً وقولاً ، تصـريحاً ، وتلويحاً ، إثباتاً ونفياً ، وترغيباً وترهيباً ، إلى غير ذلك مما يكاد لا يمكن حصره ، في تنوّعه ، وفي مناسباته .

وقد تُوِّجت جميع تلك الجهود المضنية ، والمتواصلة باحتفال جماهيري عام نُصب فيه رسمياً علي (عليه السلام) في آخر حجة حجها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) . وأخذت البيعة له فعلاً من عشرات الألوف من المسلمين ، الذين يرون نبّيهم للمرّة الأخيرة .

وقد كان ذلك في منطقة يقال لها « غدير خم » واشتهرت هذه الحادثة باسم هذا المكان . وهي أشهر من أن تذكر . وقـد ألمحنا إلى ذلك في أول هذا البحث .

ولسنا هنا في صدد البحث عن وقائع ما جرى ، واستعراض جزئياتـه ، ولا نريـد توثيقـه بالمصـادر والأسانيـد ، ولا البحث في دلالاته ومراميه المختلفة . فقد كفانا مؤونة ذلـك العلماء الأبـرار ،

جزاهم الله خير جزاء وأوفاه[٣] .

وإنّما هدفنا هو الإلماح إلى حدث سبقه بفترة وجيزة ، وهو ما حصل ـ تحديداً ـ في نفس حجة الوداع ، التي نصب فيها النبي (صلّى الله عليه وآله) علياً إماماً للأمة ، وهو في طريق عودته منها إلى المدينة .

وذلك لأن التعرّف على هذا الحدث الذي سبق قضيّة الغدير لسوف يمكّننا من أن نستوضح جانباً من المغزى العميق الذي يكمن في قوله تعالى :

﴿ والله يعصمك من الناس ﴾[٤] .

ولكننا قبل ذلك ، لا بد لنا من إثارة بعض النقاط المفيدة في هذا المجال فنقول: ·

الحدث الخالد

إن من طبيعة الزمن في حركته نحو المستقبل ، وابتعاده عن قضايا الماضي ، هو أن يؤثر في التقليل من أهميّة الأحداث الكبيرة ، التي يمرّ بها ، وتمرّ به ، ويساهم في افولها شيئاً فشيئاً ، حتى تصبح على حدّ الشبح البعيد البعيد ، ثم قد ينتهي بها الأمر

---

(٣) راجع : كتاب الغدير للعلامة الأميني ، وكتاب دلائل الصدق ، والمراجعات، وغير ذلك .

(٤) سورة المائدة الآية٦٧ .

إلى أن تختفي عن مسرح الذكر والذاكرة ، حتى كأنّ شيئاً لم يكن .

ولا تحتاج كبريات الحوادث في قطعها لشوط كبير في هذا الاتجاه إلى أكثر من بضعة عقودٍ من الزمن ، مشحونة بالتغيرات والمفاجآت .

وحتى لو احتفظت بعض معالمها ـ لسبب أو لآخر ـ بشيء من الوضوح ، ونالت قسطاً من الإهتمام ، فلا يرجع ذلك إلى أنَ لها دوراً يذكر في حياة الإنسان وفي حركته ، وإنّما لأنّها أصبحت تاريخاً مجيداً يبعث الزّهو والخيلاء لدى بعض الناس ، الّذين يرون في ذلك شيئاً يشبه القيمة ، أو يعطيهم بعضاً من الإعتبار والمجد بنظرهم .

ولكنّ قضية الغدير ، رغم مرور الدهور والأحقاب ، وبعد ألف وأربع مئة سنة زاخرة بالتقلّبات العجيبة ، وبالقضايا الغريبة ، ومشحونة بالحروب والكوارث ، وبالعجيب من القضايا والحوادث .

ورغم المحاولات الجادّة ، والمتتابعة للتعتيم عليها ، وإرهاقها بالتعليلات والتعللات غير المعقولة ، باردة كانت أو ساخنة ، بهدف حرفها عن خطّها القويم ، وعن الإتّجاه الصحيح والسليم .

وكذلك رغم ما عاناه ويعانيه المهتمون بها من اضطهاد

وغـربـة ، وتشـريـد ومحنـة ، ومـا يصبّ على رؤوسهم من بـلايـا ومصائب ، وكوارث ونوائب .

نعم . . . رغـم ذلك كلّه وسواه ، فإنّ هذه الحادثة بما تمثّله من قضية كبرى للإيمان وللإنسان ، قد بقيت ولسوف تبقى القضية الأكثر حساسيّـة وأهميّة ؛ لأنّهـا الأكثر صلة بـالإيمان وبـالإنسان ، ولأنّها الأعمق تأثيراً في حياة هـذا الكائن ، وفي بُنيـة شخصيّته من الداخل ، وعلى علاقاته بكلّ من وما يحيط به ، أو يمتّ إليه بأدنى صلة أو رابطة من الخارج .

وهي كـذلك القضيـة الأكثر مسـاساً وارتبـاطاً بمستقبـل هذا الإنسان ، وبمصيره ، إنْ في الدنيا ، وإنْ في الآخرة .

وهذا بالذات هو السر في احتفاظ هذه القضية بكل حيويّتها ، وحسـاسيّتها بـالنسبة إليـه ، على مرّ الـدهور ، وتعـاقب العصور ، ولسوف تبقى كذلك كما سيتضّح فيما يأتي .

مفتاح الحل

وإذا كان الأمر كذلك فلا يبقى مجال لما قد يثيـره البعض ، من أنه :

سـواء أكـان الحقّ في ذلـك لعلي (عليـه السـلام) ، وقـد اغتُصِبَ منه ، وأقصي عن منصب هو له ، أم لم يكن الأمر كذلك ، فإنّ هذه القضية قد تجاوزتها الأحداث ، وأصبحت تاريخـاً يحكيه

البعض ، وينساه آخرون ، كأيّ حدث تاريخيٍّ آخر . .

فلم يعد الوقوف عندها والإهتمام بها مُجدياً ، ولا مفيداً ، إن لم نقل : إنّ فيه ما يوجب الفُرقة ، ويرسخّ التباعد ، بما يثيره من كوامن ، وضغائن .

لا . . ليس ثمة مجال لهذا القول ؛ فإنّ قضية الغدير ، لا تزال ولسوف تبقى هي القضية الأساسية والرئيسة بالنسبة للمسلمين جميعاً ، بل وحتى بالنسبة لغيرهم أيضاً .

وهي المفتاح للباب الذي لا بد من الدخول منه لحلّ المشاكل المستعصية الكبرى ، وبعث وبناء الإسلام وقوته وحيويته .

وبدون ذلك ؛ فإنّ على الجميع أن يستعدّوا للمزيد من المصائب ، وأنّ يقبلوا ـ شاؤا أم أبوا ـ باستمرار حالة الضعف والتقهقر ، بل وانهيار بناء الإسلام الشامخ .

خلافة أم امامة !

وذلك لأنّ القضية لا تقتصر على أن تكون مجرّد قضية خلافة وحكم ، أي قضيّة : أن يحكم هذا ، أو يحكم ذاك ، لسنوات معدودة ، وينتهي الأمر ـ وربّما يقال إنّ الّذين تصدّوا للحكم ، واستأثروا به لأنفسهم قد قصدوا ذلك ، ولكنّنا نجد شواهد كثيرة قد لا تساعد على هذا الفهم الساذج للأمور .

لا . . لا يقتصر الأمر على ذلك ، وإنّما هو يتجاوزه لما هو أهمّ وأخطر ، حيث قد عمل الحكّام الأمويون على تكريس مفهوم الإمامة والخلافة الإلهية في كلّ شخصيـة تصدّت للحكم . وذلـك في نـطاق تقديم العـديد من الضـوابط والمعاييـر ، المستنـدة إلى مبرّرات ذات طابع عقائدي في ظاهـره يتمّ على أساسهـا اضطهـاد الفكـر والإعتقاد المخـالف ، والتخلّص من رجـالاتـه بـطريقـة أو بأخرى .

وقد سرت تلك المفـاهيم المخترعـة في الناس ، وأصبحت أمـراً واقعاً ، لا مفـرٌ منه ولا مهـرب ، ولا ملجـأ منـه ولا منجى ، وتفـرّقت الفرق ، وتحـزّبت الأحـزاب ، رغـم أنّ غير الشيعـة من أرباب الفرق والمذاهب الإسلامية يعتقدون بالخلفاء أكثر ممّا يعتقده الشيعة في أئمّتهم ويمارسون ذلك عملاً ، ولكنّهم ينكرون ذلك ، ولا يعترفون به ، كما أنّهم ينكرون على الشيعة اعتقادهم في أئمّتهم ما هو أخفّ من ذلك وأيسر .

دور الامامة في بناء الانسان والحياة

وليس من الغريب القول بأن قضية الإمامة والموقف منها هـو الذي يحدّد مسار الإنسان واتّجاهه في هذه الحياة وعلى أساس هذا التحديد ، والمعرفة والإعتراف يتحدّد مصيـره ، ويرسم مستقبله ، وبـذلك تقـوم حياتـه ، فيكـون سعيـداً أو شقيـاً ، في خطّ الإسـلام

وهُداه ، أو في متاهات الجاهلية وظلماتها كما أشير إليه في الحديث الشريف :

« من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية » أو ما بمعناه[٥] .

فعلى أساس الإعتقاد بالإمامة يجسّد الإنسان على صعيد الواقع ، والعمل ، مفهوم الأسوة والقدوة ، الذي هو حالة طبيعية ، يقوم عليها ـ من حيث يشعر أو لا يشعر ـ بناء وجوده وتكوين شخصيّته ، منذ طفولته .

وعلى أساس هذا الإعتقاد ، وذلك الموقف ـ أيضاً ـ يختار أهدافه ، ويختار السبل التي يرى أنّها توصله إليها .

كما أنّ لذلك تأثيره الكبير في تكوينه النفسي ، والروحي ، والتربوي ، وفي حصوله على خصائصه الإنسانية وفي حفاظه على ما لديه منها .

---

(٥) راجع : الغدير ج١ ، ص٣٩٠ عن التفتازاني في شرح المقاصد ج٢ ، ص٢٧٥ ، وكنز الكراجكي : ص١٥١ ، والمناقب لإبن شهر آشوب ج٣ ، ص٢١٧ ، ومجمع الزوائد ج٥ ، ص٢٢٤ و٢٢٥ و٢١٩ و٢١٨ ، ومسند أحمد ج٤ ، ص٩٦ ، والبحار ج٢٣ ، ص٩٢ و٨٨ و٨٠ و٨٩ وفي هوامشه عن الإختصاص : ٢٦٩ ، وعن إكمال الدين : ص٢٣٠و٢٣١ ، وعن عيون أخبار الرضا عليه السلام : ص٢١٩ ، ومنتخب الأثر : ص١٥ عن الجمع بين الصحيحين والحاكم .

والإمـامة هي التي تبيّن لـه الحقّ من الباطـل ، والحسن من القبيح ، والضارّ من النافع .

وعلى أساس الالتزام بخطّها يـرتبط بهذا الإنسـان أو بذاك ، ويتعاون معه ، ويتكامل ، أو لا يفعل ذلك

كمـا أنّهـا هي التي تقـدّم لـلإنسـان المعـاييـر والنـظم ، والمنطلقات التي لا بُدّ أن يلتزم بها ، وينطلق منها ، ويتعامل ويتّخذ المواقف ـ إحجاماً أو إقداماً ـ على أساسها .

أضف إلى ذلك أنّها تتدخّل في حياته الخاصة ، وفي ثقافته ، وفي أسلوبه وفي كيفية تفكيره .

ومن الإمام يأخـذ معالم الـدين وتفسير القـرآن ، وخصائص العقائد ودقائق المعارف .

وهذا بالذات هو السرّ في أنّنا نجد إنساناً يأخذ معالم دينه من شخص دون آخر ، ويجعل هذا أسوته وقدوته دون ذاك .

إذن . . فموضوع الغدير ، ونصب الإمام للناس ، وتعريفهم به ، لا يمكن أن يكون على حدّ تنصيب خليفة ، أو حاكم ، أو ما إلى ذلك ، بل الأمر أكبر وأخطر من ذلك . . كمـا أنّه ليس حـدثاً عـابراً فـرضته بعض الـظروف ، لا يلبث أن ينتهي ويتـلاشى تبعـاً لتلاشي وانتهاء الظروف التي فرضته أو أوجدته ، وليصبح في جملة ما يحتضنه التاريخ من أحـداث كبيرة ، وصغيـرة ، لا يختلف عنها

في شيء ، ولا أثر له في الحياة الحاضرة إلاّ بمقدار ما يبعثه من زهوٍ ، واعتزاز ، أو يتركه من مرارة وألم على مستوى المشاعر والانفعالات لا أكثر .

بل أمْرُ الإمامة ، هو الذي يمس في الصميم حقيقةَ هذا الإنسان ، ومصيره ومستقبله ، ودنياه وآخرته ، ويؤثّر في مختلف جهات وجوده وحياته .

ومعنى ذلك هو أنّه لا بُدَّ من حسم الموقف في هذا الأمر ليكون الإنسان على بصيرة من أمره فلا يموت ميتة جاهلية . كما تقدم عن الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

واشتراط الحديث الشريف تحصيل معرفة الإمام في النجاة من الهلكة وذلك في صيغة عامّة تشمل كلّ إنسان حتى ولو لم يكن يعتنق الإسلام ، حيث قال : « من مات ولم يعرف إمام زمانه . . . » ولم يقل : إذا مات المسلم ولم . . .

إنّ هذا الإشتراط يوضّح لنا : أنّ تجاهل قضية الإمامة ، وعدم حسم الأمر في موضوع الأسوة والقدرة يساوي رفضها ، وإبعادها عن محيط الحياة والإنسان في كونه يوجب الميتة الجاهلية ، ويترك آثاره السلبية المهلكة والمبيدة ، على مجمل حياة هذا الكائن وعلى مستقبله ومصيره ، في الدنيا والآخرة .

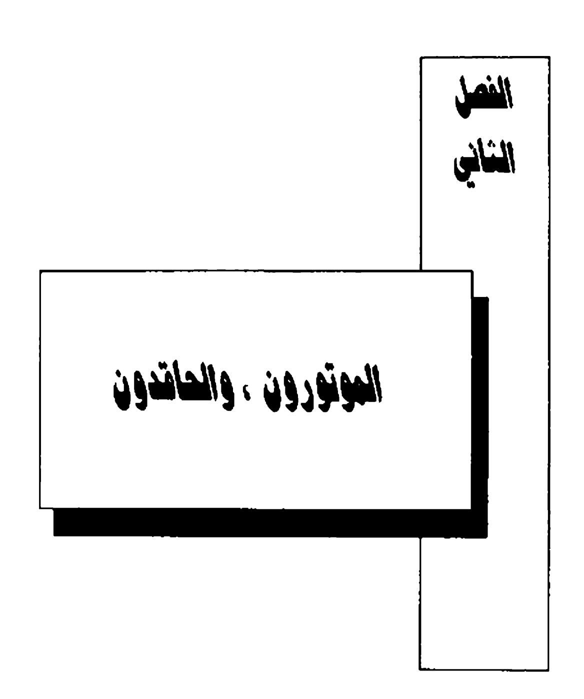
وممّا يدلّ على ذلك ، ويثبته ويؤكده : أنّه تعالى قد اعتبر

عدم إبلاغ أمر الإمامة إلى الناس ، يساوي عدم إبلاغ الرسالة نفسها من الأساس ، وذلك يعني : أنّه لا يمكن التسامح فيها ولا المحاباة ، ولا مجال لإبعادها وتعطيلها لأنّ ذلك يعني إبعاد الدين وتعطيله ، ومنعه من أن يكون هو سيّد الموقف ، وصاحب القرار في حياة الإنسان ، وفي مجمل مواقفه .

فَما بَلَّغتَ رسالته ! :

وبعد أن عرفنا : أنّ القضية ليست قضية شخص ، وإنّما هي قضية الرسالة ، أن تكون ، أو لا تكون ؛ حتى لقد قال تعالى ، مخاطباً نبيه (صلّى الله عليه وآله) ، في مجال الحثّ على حسم أمر الإمامة ﴿ **وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ بعد أن عرفنا ذلك . . فإنّ المنع من إبلاغ الرسالة والإمامة معناه حرمان الإنسان من الهداية الإلهية ، والرعاية الربّانية ، وليس هناك جريمة أعظم ولا أخطر من ذلك .

وهنا لا بد من القاء نظرة على ما كانت عليه الحال في زمن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فيما يرتبط بهذه النقطة بالذات ، لنتعرف على أولئك الناس الذين حاولوا منع الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من إبلاغ أمر الإمامة إلى الناس وذلك في الفصل التالي .


الفصل
الثاني
الموتورون ، والحاقدون

المعارضون

إننا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم ، فسوف نجد أنه قد أفصح لنا عن وجود فئات من الناس ، كانت تقف في وجه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مباشرة ، وتمنعه من بيان أمر الإمامة وإقامة الحجة فيها ، حتى احتاج (صلّى الله عليه وآله) إلى طلب العصمة من الله سبحانه ، ليتمكن من مواجهة هؤلاء ، وكبح جماحهم .

فمن هم هؤلاء الأشرار الأفاكون ، والعتاة المجرمون ؟! . الذين يجترؤون على مقام النبوة الأقدس ، ويقفون في وجه إبلاغ أوامر الله ، واحكامه .

الجواب

إن كتب التاريخ والحديث ، والسيرة زاخرة بالشواهد

والدلائل القاطعة ، والبراهين الساطعة ، التي تكشف لنا القناع عن وجه هؤلاء ، وتظهر مدى تصميمهم على رفض هذا الأمر ، ومحاربته ، وطمسه ومنابذته ، بكل ما أوتوا من حول وقوّة .

ونحن في مقام التعريف بهم ، والدلالة عليهم نبادر إلى القول : إنهم ـ للأسف ـ قوم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وقريش بالذات . قريش ، التي حاربت الإسلام في بدء ظهوره ، وحاربته وهو غضّ طريّ العود ، ثم حاربته بعد أن ضرب بجرانه ، وعملت على زعزعة أركانه ، حينما أرادت حرمانه من العنصر الضروري والأهم للحياة وللإستمرار ، والبقاء . وأعني به عنصر الإمامة والقيادة .

والنصوص التالية خير شاهد على سياسات قريش هذه . . فلنقرأها بتمعن ، وصبر ، وأناة .

النصوص الصريحة

قال عثمان بن عفان لإبن عباس :

« لقد علمت : أن الأمر لكم ، ولكن قومكم دفعوكم عنه » ثم تذكر الرواية له كلاماً آخر ، وجواب إبن عباس له ، فكان مما قال :

« فأما صرف قومنا عنا الأمر ، فعن حسد ـ قد والله ـ عرفته ،

وبغي ، ـ والله ـ علمته بيننا وبين قومنا »[1] .

وحين ظهرت نتائج الشورى التي عينها عمر بن الخطاب ، قال رجل من بني مخزوم لعمار : « ما أنت وتأمير قريش لأنفسها » ؟!

ثم تستمر الرواية إلى أن تذكر : أن المقداد قال :

« تالله ، ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت . واعجبا لقريش ، لقد تركت رجلاً ، ما أقول ، ولا أعلم أحداً أقضى بالعدل . . . »[2] .

وخطب أبو الهيثم بن التيهان بين يدي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، فقال :

« إن حسد قريش إياك على وجهين ، أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملأ ، وارتفاع الدرجة . وأما شرارهم فحسدوك حسداً أنغلَ القلوب ، وأحبط الأعمال ، وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدمك إليها الحظ ، وأخّرهم عنها الحرمان ، فلم يرضوا

---

(١) قاموس الرجال ج٦ ، ص٣٧ ، وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ، ص٩ ، والموفقّيات : ص٦٠٦ .

(٢) قاموس الرجال ج٦ ، ص٣٨٤ ـ ٣٨٥ ، وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ، ص٢٦٦ و٩ ج٥٧ ـ ٥٨ ، وفي كلمات المقداد رحمه الله عبارات أخرى صريحة في ذلك ، فلتراجع .

أن يلحقوك حتى طلبوا أن يسبقوك ، فبعدت ـ والله ـ عليهم الغاية ، وأسقط المضمار ؛ فلما تقدمتهم بالسبق . وعجزوا عن اللحاق بلك بلغوا منك ما رأيت ، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش . . . »[3] .

وعمرو بن عثمان بن عفان أيضاً قال : « ما سمعت كاليوم إن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض أحد بعد قتل الخليفة عثمان ـ إلى أن قال : ـ فيا ذلاه ، أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب ـ قتلة عثمان ـ أحياء يمشون على مناكب الأرض . . . »[4] .

يقولون هذا مع أنهم يعلمون : أن الحسن (عليه السلام) كان يدافع عن عثمان وهو محاصر في داره .

وعن علي بن الحسين (عليه السلام) ، أنه قال : ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا[5] .

ودخل العباس على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فقال : يا رسول الله . إنا لنخرج فنرى قريشاً تحدّث ؟

---

(٣) الأوائل ج١ ، ص٣١٦ ـ ٣١٧ .
(٤) الإحتجاج ج١ ، ص٤٠٣ ، والبحار ج٤٤ ، ص٧١ .
(٥) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ، ص١٠٤ ، والبحار ج٤٦ ، ص١٤٣ وعن الطبعة الحجرية ج٨ ، ص٦٧٦ و٧٣٠ ، وراجع : الغارات ج٢ ، ص٥٧٣ .

فـإذا رأونـا سكتـوا . فغضب رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) ، ودرّ عرق بين عينيه[٦] .

وسُئلَ الإمام السجاد (عليه السلام) ـ وابن عباس أيضاً : ما أشد بغض قريش لأبيك ؟ ! .

قال : لأنه أورد أولهم النار ، وألزم آخرهم العار[٧] .

وعن إبن عباس : قال عثمـان لعلي (عليه السـلام) : « ما ذنبي إذا لم يحبَّـك قريش ، وقـد قتلت منهم سبعين رجلاً ، كـأن وجوههم سيوف الذهب »[٨] .

---

(٦) مسند أحمد ج٤ ، ص١٦٤ وج١ ، ص٢٠٧وص٢٠٨ ، وراجـع ص٢١٠ ، وسنن إبن ماجة ج١ ، ص٥٠ ، وحياة الصحابة ج٢ ، ص٤٨٧و٤٨٨ ، ونزل الأبـرار : ص٣٤ ـ ٣٥ ، وراجع : تـاريخ المـدينة ج٢ ، ص٦٣٩ و٦٤٠ ، ومستـدرك الحـاكم ج٣ ، ص٣٣٣ ، وتلخيصـه للذهبي ، بهـامش نفس الصفحة ، ومنحة المعبود ج٢ ، ص١٤٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٦٩ والجـامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٥٢ ، وصححه ، وأسد الغابة ج٣ ، ص١١٠ ، وكنز العمـال ج١٣ ، ص٩٠ و٨٨ ـ ٨٩ و٨٣ ، وج١٦ ، ص٢٥٤ و١٣٥ و١٢٨ عـن عدد من المصادر ونقله بعض الأعلام عن الكامـل لإبن عدي ج٦ ، ص١٨٨٥ ، وعن المصنف لإبن أبي شيبـة ج١٢ ، ص١٠٨ ، وعن المعرفـة والتاريـخ ج١ ، ص٤٩٧ و٤٩٩ . والبحار ج٨ ، ص١٥١ الطبعة الحجرية .

(٧) نثـر الدر لـلآبي ج١ ، ص٣٤٠ والمناقب لإبن شهـر آشوب ج٣ ، ص٢٢٠ والبحار الطبعة الحجرية ج٨ ، ص١٥١ .

(٨) معرفة الصحابة لأبي نعيم الورق ٢٢ مخطوط في مكتبة طوب قبوسراي رقم ١ ص٤٩٧/أ ، والجمل ص٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ، ص٢٣ .

وقريب منه ما روي أن ابن عمر ، قد قاله لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً[٩] .

وروي أن العباس قال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : إن قريشاً ، جلسوا ، فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض ، فقال (صلّى الله عليه وآله وسلم) . . . الخ .

وحسب نص آخر : أن ناساً من الأنصار جاؤوا إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالوا : إنا لنسمع من قومك ، حتى يقول القائل منهم : إنما مثل محمد مثل نخلة[١٠] .

ويقولون أيضاً : قد كان هوى قريش كافة ما عدا بني هاشم في عثمان[١١] . وقال المقداد : واعجبا لقريش ، ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم[١٢] .

وقال الثقفي : كانت قريش كلها على خلافه مع بني

---

(٩) المناقب لابن شهر آشوب ج٣ ، ص٢٢٠ .

(١٠) راجع مسند أحمد ج٤ ، ص١٦٦ ، ولسان العرب ج١٥ ، ص٢١٣ ، والبحار ج٣٦ ص٢٨٨ و٢٩٤ ، والنهاية في اللغة ج٤ ، ص١٤٦ .
وفي الكامل لابن عدي ج٢ ، ص٦٦٥ : أن القائل هو أبو سفيان وفي البحار ج٣٦ ، ص٢٧٨ و٢٩٤ : أن القائل هو عمر بن الخطاب .
والكبا: الكناسة ، والتراب الذي يكنس .

(١١) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ، ص٥٢ .

(١٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ، ص١٦٣ .

أمية[١٣] .

وبعد بيعة عثمان تكلم عمار ، فذكر : أن قريشاً هي التي صرفت هذا الأمر عن أهل البيت ، ثم قال المقداد لعبد الرحمن بن عوف :

« يا عبد الرحمن ، اعجب من قريش ، وإنّما تطوّلهم على الناس بفضل أهل هذا البيت ، قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بعده من أيديهم . أما وأيم الله يا عبد الرحمن ، لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي عليه الصلاة والسلام يوم بدر »[١٤] .

« وبعد أن بايع الناس علياً (عليه السلام) قام أبو الهيثم ، وعمار ، وأبو أيوب ، وسهل بن حنيف ، وجماعة معهم ، فدخلوا على علي (عليه السلام) ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أنظر في أمرك ، وعاتب قومك هذا الحي من قريش ، فانهم قد نقضوا عهدك ، واخلفوا وعدك ، ودعونا في السر إلى رفضك »[١٥]

كما أن البراء بن عازب قد ذكر : أنه حين توفي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) تخوّف أن تتمالأ قريش على

---

(١٣) الغارات ج٢ ، ص٥٧٠ ، وراجع ص٥٥٤ .

(١٤) مروج الذهب ج٢ ، ص٣٤٣ .

(١٥) شرح النهج لإبن أبي الحديد ، المعتزلي ج٢ ، ص٣٩ ـ ٤٠ .

إخراج هذا الأمر عن بني هاشم[١٦] .

وروي : أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد قال لعلّي (عليه السلام) ، إنّ الأمة ستغدر بك بعدي[١٧] .

كما أنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد أخبر أمير المؤمنين ، بأن في صدور أقوام ضغائن ، لا يبدونها لـه إلا بعده ، وفي بعض المصادر : أن ذلك كان منه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حين حضرته الوفاة[١٨] .

الخليفة الثاني يتحدث أيضاً

قال عمر لإبن عباس وهو يتحدث عن سبب صرف الأمر عن

---

(١٦) شرح النهج لإبن أبي الحديد ، المعتزلي ج٢ ، ص٥١ .

(١٧) نزل الأبرار : ص٢٦١ ، وتاريخ بغداد ج١١ ، ص٢١٦ ، ومستدرك الحاكم ج٣ ، ص١٤٢ ، وتلخيصه للذهبي ، بهامش نفس الصفحة ، وعن كنز العمال ج٦ ، ص٧٣ ، والبحار ـ طبعة حجرية ـ ج٨ ، ص٦٢٩ .

(١٨) راجع المصادر التالية : تذكرة الخواص : ص٤٥ ـ ٤٦ ، وكفاية الطالب : ص٢٧٢ ، وفرائد السمطين ج١ ص١٥٢ ، والبحار ج٢٨ ، ص٥٣ ـ ٥٤ وكتاب سليم بن قيس : ص٢٢ ، ومجمع الزوائد ج٩ ، ص١١٨ عن البزّار والطبراني وأبي يعلى ، والمناقب للخوارزمي ص٢٦ وتاريخ بغداد ج١٢ ص٣٩٨ ومقتل الحسين للخوارزمي : ج١ ، ص٣٦ ، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السّلام) ـ من تاريخ دمشق ، بتحقيق المحمودي ج٢ ، ص٣٢٢ ـ ٣٢٥ ،ة ونور الأبصار : ٧٩ ، وميزان الإعتدال ج٣ ، ص٣٥٥ ، وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ، ص١٠٧ ، وكنز العمال ج١٥ ، ص١٥٦ عن إبن النجار وأبي الشيخ والمستدرك والبزّار وإبن الجوزي والخطيب وأبي يعلى ، وكفاية الأثر : ص١٢٤ و١٥٨ .

علي (عليه السلام) : « والله ، ما فعلنا الذي فعلنا معه عن عداوة ، ولكن استصغرناه ، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب ، وقريش ؛ لما قد وترها »[19] .

وقال لإبن عباس أيضاً : « كرهت قريش أن تجمع لكم النبوة والخلافة ، فتجفخوا الناس جفخا[20] ، فنظرت قريش لأنفسها ، فاختارت ، ووفّقت ، فأصابت »[21] .

وفي موقف آخر له أيضاً معه ، قال الخليفة له : « استصغر العرب سنه » .

كما أنه قد صرح أيضاً بأن قومه قد أَبَوْهُ[22] .

وفي مناسبة أخرى قال له : « لا ، ورب هذه البنية ، لا

---

(19) الغدير ج1 ، ص389 عن محاضرات الراغب ، والبحار ج8 ، ص209 ـ الطبعة الحجرية .

(20) الجفخ : التكبّر .

(21) قاموس الرجال ج6 ، ص33 و403 ، وقال : رواه الطبري في أحوال عمر ، والمسترشد في إمامة علي (عليه السّلام) : ص167 وشرح النهج للمعتزلي ج12 ، ص53 ، وراجع ص9 وعبّر فيه بـ«قومكم» وفيه : «إنهم ينظرون إليه نظر الثور إلى جازره» ، وراجع ج2 ، ص58 والإيضاح : ص199 .

(22) راجع : شرح النهج للمعتزلي ج12 ، ص46 وراجع ج2 ، ص58 و81 ، وفي هامشه عن الرياض النضرة ج2 ، ص173 ، وراجع : بهج الصباغة ج4 ، ص361 ، وقاموس الرجال ج7 ، ص201 وج6 ، ص35 عن الموفقيّات .

تجتمع عليه قريش أبداً »[23] .

وقال أيضاً لإبن عباس : « إن علياً لأحق الناس بها ، ولكن قريشاً لا تحتمله . . . »[24] .

قريش في كلمات علي (عليه السلام)

وإذا رجعنا إلى كلمات أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) نفسه ، فإننا نجده يحمل قريشاً مسؤولية كل المصائب والرزايا والبلايا التي واجهها هو وكل المخلصين بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)ولا سيما فيما يرتبط بأمر الخلافة ، وما نشأ عن ذلك من تمزق ، في جسم الأمة ، وتوزع في أهوائها . ثم ما كان من تقاتل وتناحر ، وإنحراف عن خط الإسلام وعن مفاهيمه وأحكامه ؟! وإلى يوم يبعثون . .

ونذكر من كلماته (عليه السلام) هنا ، ما يلي :

قال (عليه السلام) : « اللهم أخز قريشاً ؛ فإنها منعتني

---

(٢٣) شرح النهج ج١٢ ، ص٢٠ و٢١ عن كتاب بغداد لأحمد بن أبي طاهر ، وراجع ج١٢ ، ص٧٩ و٨٥ و٨٦ و٨٤ و٨٠ و٨٢ ، وكشف الغمة ج٢ ، ص٤٩ ، وقاموس الرجال ج٦ ، ص٣٩٨ وج٧ ، ص١٨٨ ، وبهج الصباغة ج٦ ، ص٢٤٤ وج٤ ، ص٣٨١ ، ونقل عن البحار ـ طبع كمباني ـ ج٨ ، ص٢١٣ و٢٦٦ و٢٩٢ ، وعن ناسخ التواريخ (الجزء المتعلق بالخلفاء) : ص٧٢ ـ ٨٠ .

(٢٤) تاريخ اليعقوبي ج٢ ، ص١٥٨ ، وقاموس الرجال ج٦ ، ص٣٦ عنه .

حقّي ، وغصبتني أمري »[٢٥] .

وعنه (عليه السلام) : « فجزى قريشاً عني الجوازي ، فإنهم ظلموني حقّي ، واغتصبوني سلطان ابن أمّي »[٢٦] .

وفي نهج البلاغة وغيره قال (عليه السلام) : « اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم ؛ فإنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي ثم قالوا : ألا في الحقّ أن تأخذه ، وفي الحق أن تتركه » .

وزاد في نص آخر :

« فاصبر كمدا ، أو فمت متأسفاً حنقاً ، وأيم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي ـ كما قطعوا سنّتي ـ لفعلوا ـ ولكن لم يجدوا إلى ذلك سبيلا »[٢٧] .

وفي خطبة له (عليه السلام) ، يذكر فيها فتنة بني أمية ، ثم ما يفعله المهدي (عليه السلام) بهم ، يقول :

---

(٢٥) شرح النهج ، للمعتزلي (ج٩ ، ص٣٠٦ .

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) راجع نهج البلاغة ج٢ ، ص٢٢٧ ، والمسترشد في إمامة علي (عليه السلام) : ص٨٠ وشرح النهج المعتزلي ج٤ ، ص١٠٤ وج٦، ص٩٦ ، راجع : البحار الطبعة الحجرية ج٨ ، ص٧٣٠و٦٧٢ والغارات ج٢ ، ص٥٧٠ .

« فعند ذلك تود قريش بـالدنيـا وما فيهـا ، لو يـرونني مقامـاً واحداً ، ولو قَدر جزر جزور ، لِأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضـه ، فلا يعطونيه »[٢٨] .

وعنه (عليه السـلام) : « حتى لقد قـالت قريش : ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب »[٢٩] .

وقال عليه السلام : « إني لأعلم ما في أنفسهم ، إنّ النـاس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر في صلاح شأنهـا ؛ فتقول : إن ولي الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً ، وما كان في غيرهم فهـو متداول في بطون قريش »[٣٠] .

وقال (عليه السلام) :

« إن العـرب كـرهت أمـر محمـد (صلّى الله عليـه وآلـه) وحسدته على ما آتاه الله من فضله ، واستطالت أيامه ، حتى قذفت زوجته ، ونفرت به ناقته ، مع عـظيم إحسانـه إليها ، وجسيم مننـه عندها ، وأجمعت مذ كان حيّاً على صرف الأمر عن أهل بيتـه بعد موتـه .

---

(٢٨) نهج البلاغة ج١ ، ص١٨٤ .

(٢٩) الأغاني ج١٥ ، ص٤٥ ، ونهج البلاغة ج١ ، ص٦٦ .

(٣٠) راجـع : قامـوس الرجـال ج٦ ، ص٣٨٤ و٣٨٥ ، وشرح النهـج للمعتزلي ج١٢ ، ص٢٦٦ وج٩ ، ص٥٧ و٥٨ .

ولو لا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة ، وسُلّماً إلى العزّ والإمرة ، لما عَبَدَت الله بعد موته يوماً واحداً ، ولا ارتدّت في حافرتها ، وعاد قارحها جذعاً وبازلها بكراً[٣١] .

ثم فتح الله عليها الفتوح ؛ فأثرت بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجهد والمخمصة ، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً ، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً ، وقالت : لولا أنه حق لما كان كذا .

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها ، فتأكد عند الناس نباهة قوم ، وخمول آخرين ، فكنا نحن ممن خمل ذكره ، وخبت ناره ، وانقطع صوته وصيته ، حتى أكل الدهر علينا وشرب . . . »[٣٢] .

وفي نص آخر عنه (عليه السلام) أنه قال : « فلّما رقّ أمرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا »[٣٣] .

وعنه (عليه السلام) : « يا بني عبد المطلب ، إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي ، كعداوتهم النبي في حياته ، وإن يطع

---

(٣١) البازل من الإبل : الذي فطر نابه .
(٣٢) شرح النهج للمعتزلي ج٢٠ ، ص٢٩٨ و٢٩٩
(٣٣) الأمالي ، للشيخ المفيد : ص٣٢٤ .

قومكم لا تؤمّروا أبداً »[٣٤] .

وعنه صلوات الله وسلامه عليه : « ما رأيت منذ بعث الله محمداً رخاءً ، لقد أخافتني قريش صغيراً ، وأنصبتني كبيراً ، حتى قبض الله رسوله ، فكانت الطامة الكبرى »[٣٥] .

وقال له رجل يوم صِفّين : لِمَ دفعكم قومكم عن هذا الأمر ، وكنتم أعلم الناس بالكتاب والسُّنّة ؟ ! .

فقال (عليه السلام) : « كانت إمرة شحّت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين »[٣٦] .

كما أنه (عليه السلام)قد كتب لأخيه عقيل في رسالة جوابية له :

« فإنّ قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قبل اليوم ، وجهلوا حقي ، وجحدوا فضلي ، ونصبوا لي الحرب ، وجدّوا في إطفاء نور الله ، اللهم فاجز قريشاً عني بفعالها ؛ فقد قطعت رحمي ، وظاهرت عليّ . . . » . وفي بعض المصادر ذكر (العرب) بدل

---

(٣٤) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ، ص٥٤ ، ونقل ذلك أيضاً عن مروج الذهب ج٣ ، ص١٢ .

(٣٥) شرح النهج ، للمعتزلي ج٥ ، ص١٠٨

(٣٦) المناقب لابن شهر آشوب ج٣ ، ص٢١٤ .

قريش[٣٧] .

وأما بالنسبة لمعاوية الخليفة الأموي ، فقد أخبر (عليه السلام) : أنه لو استطاع لم يترك من بني هاشم نافخ ضرمة[٣٨] .

وبعد . . فإن الإمام الحسن (عليه السلام) قد ذكر في خطبة له أن قريشاً هي المسؤولة عن موضوع إبعاد أهل البيت عن الخلافة ، فراجع[٣٩] .

بعض ما قاله المعتزلي هنا

هذا . . وقد أكد المعتزلي هذه الحقيقة في مواضع من شرحه لنهج البلاغة . ونحن نذكر هنا فقرات من كلامه ، ونحيل من أراد المزيد على ذلك الكتاب ، فنقول :

قال المعتزلي : « إنّ قريشاً اجتمعت على حربه منذ بويع ،

---

(٣٧) راجع : الإمامة والسياسة ج١ ، ص٥٦ ، وراجع المصادر التالية : الغارات ج٢ ، ص٤٣١ ، وشرح النهج ، للمعتزلي ج٢ ، ص١١٩ وراجع ج١٦ ، ص١٤٨ - ١٥٢ وأنساب الأشراف ج٢ ، ص٧٥ بتحقيق المحمودي ، والأغاني ج١٥ ، ص٤٦ ، ونهج البلاغة ج٣ ، ص٦٨ ، والدرجات الرفيعة : ص١٥٦ ، وعن البحار - طبعة حجرية - ج٨ ، ص٦٢١ و٦٧٣ ، وراجع أيضاً نهج السعادة ج٥ ، ص٣٠٢ ، وراجع : جمهرة رسائل العرب ج١ ، ص٥٩٥ . والعبارات في المصادر متفاوتة فليلاحظ ذلك .

(٣٨) تفسير العيّاشي ج٢ ، ص٨١ ، والبحار ج٣٢ ، ص٥٩٢ ، وعيون الأخبار - لابن قتيبة - ج١ ، ص١٨١ .

(٣٩) راجع : شرح النهج للمعتزلي ج١٦ ص٢٤ و٣٣ .

بغضاً له وحسداً ، وحقداً عليه ؛ فأصفقوا كلهم يداً واحدة على شقاقه وحربه ، كما كانت في ابتداء الإسلام مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، لم تخرم حاله من حاله أبداً »[٤٠] .

وقال : « إنّه رأى من بغض الناس له ، وانحرافهم عنه ، وميلهم عليه ، وثوران الأحقاد التي كانت في أنفسهم ، واحتدام النيران التي كانت في قلوبهم وتذكّروا الترات التي وترهم فيما قبل بها ، والدماء التي سفكها منهم ، وأراقها ـ إلى أن قال : ـ وانحراف قوم آخرين عنه للحسد الذي كان عندهم له في حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لشدّة اختصاصه له وتعظيمه إيّاه ، وما قال فيه فأكثر من النصوص الدالة على رفعة شأنه ، وعلو مكانه ، وما اختص به من مصاهرته وأُخوّته ، ونحو ذلك من أحواله .

وتنكّر قومٍ آخرين له ؛ لنسبتهم إليه العُجب والتيه ـ كما زعموا ـ وإحتقاره العرب ، واستصغاره الناس ، كما عدّدوه عليه ، وإن كانوا عندنا كاذبين ، ولكنه قول قيل ، وأمر ذكر . . »[٤١] .

وقال : « فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها ، حين بويع بالخلافة ، بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)بخمس

---

(٤٠) شرح النهج ج١٦ ، ص١٥١ .
(٤١) شرح النهج ج١١ ، ص١١٢ و١١٣

وعشـرين سنـة ، وفي دون هـذه المـدّة تُنسى الأحقــاد ، وتمـوت التِرات ، وتبرد الأكباد الحاميـة ، وتسلو القلوب الواجـدة ، ويعدم قرن من الناس ، ويوجد قرن ، ولا يبقى من أرباب تلك الشحنـاء والبغضاء إلا الأقلّ » .

فكانت حاله بعد هذه المدّة الطويلة مع قريش كأنّها حالـه لو أفضت الخلافة إليـه يوم وفـاة ابن عمّه (صلّى الله عليـه وآله) من إظهار ما في النفوس ، وهيجان ما في القلوب ، حتى إنّ الأخلاف من قريش ، والأحداث والفتيان ، الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم ، فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله ، وتقاعست عن بلوغ شأوه »[٤٢] .

وقال : « اجتهدت قريش كلّها ، من مبـدأ الأمر في إخمـال ذكره ، وستر فضائله ، وتغطية خصائصه ، حتى مُحي فضله ومرتبته من صدور الإسلام »[٤٣] .

وقال : « إنّ قريشاً كلّها كانت تبغضه أشـدّ البغض ـ إلى أن قـال : ولست ألـوم العـرب ، ولا سيمـا قـريشـاً في بغضهـا لـه ، وانحرافها عنه ، فإنّه وترهـا ، وسفك دمـاءَها ، وكشف القنـاع في

---

(٤٢) شرح النهج ج١١ ، ص١١٤ .

(٤٣) شرح النهج ج١٨ ، ص١٨ .

منابذته . ونفوس العرب وأكبادها كما تعلم ! »[٤٤] .

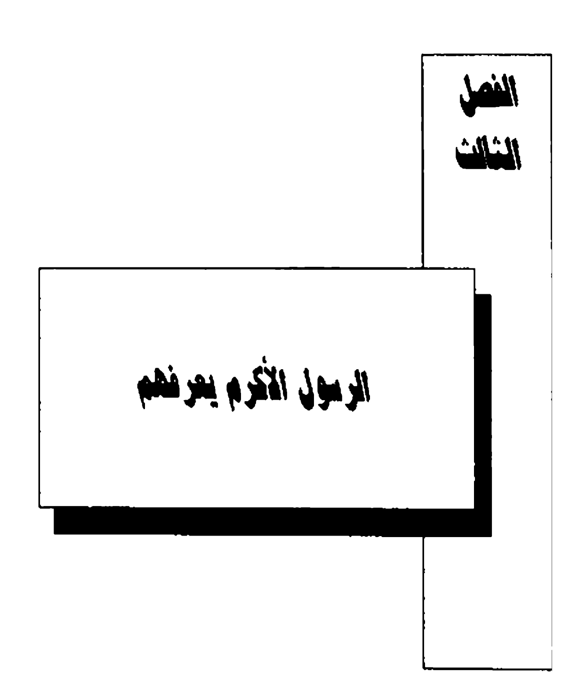
هذا وقد أشار إلى بغض قريش ومنابذتها له في مواضع عديدة أخرى من كتابه ، فليراجعها من أراد[٤٥] .

وبعد ما تقدم : فإن الوقت قد حان للوقوف على حقيقة موقف هؤلاء مما جرى في قضية (الغدير) ، والظرف الذي كان يواجهه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع هؤلاء ، في هذه المناسبة بالذات ، فإلى الفصل التالي .

---

(٤٤) شرح النهج ج١٤ ، ص٢٩٩ .

(٤٥) راجع شرح النهج ج٩ ، ص٢٨ و٢٩ و٥٢ وج٤ ، ص٧٤ ـ ١٠٤ .



الفصل الثالث

الرسول الأكرم يعرفهم

الرسول (ص) والمتآمرون

ونحن إذا رجعنا إلى كلمات الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، المنقولة لنا بصور متعدّدة ، وفي موارد مختلفة ، فإننا نجد ، أنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يؤكّد على معرفته بنوايا المتآمرين من قومه قريش تجاه أهل بيته عموماً ، وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) بصورة خاصة ، وقد تقدّم عنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعض من ذلك ، وما تركناه أكثر من أن يحاط به بسهولة ، ويسر ، لكثرته ، وتنوعه .

ويكفي أن نذكر هنا: أنّ تأخيره إبلاغ ما أنزل إليه في شأن الإمامة والولاية ، قد كان بسبب المعارضة الكبيرة التي يجدها لدى قريش ، التي كانت لا تتورّع عن إتّهام شخص الرسول (صلّى الله

عليه وآله وسلّم) ، والطعن في نزاهته ، وفي خلوص عمله ونيّته .

وقد صرّحت طائفة من النصوص المتقدمة بأنّ قريشاً كانت رائدة هذا الإتجاه ، وهي التي تتصدّى وتتحدّى ، وإليك نموذجاً آخر من تصريحات الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الدالة على معرفته بهؤلاء المتآمرين ، ووقوفه على حقيقة نواياهم في خصوص هذا الأمر . وبالنسبة لقضية الغدير بالذات .

أمثلة وشواهد

١ ـ قال الطبرسي : « قد اشتهرت الروايات عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله (عليهما السلام) : أنّ الله أوحى إلى نبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : أن يستخلف علياً (عليه السلام) ؛ فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه ؛ فأنزل الله هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه . . . »[1] .

والمراد بـ« هذه الآية » قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك . . .** ﴾ .

٢ ـ عنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : أنّه لما أُمر بإبلاغ أمر الإمامة قال : « إنّ قومي قريبوا عهدٍ بالجاهلية ، وفيهم تنافس وفخر ، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليّهم ، وإنّي أخاف ، فأنزل

---

(١) مجمع البيان ج٣ ، ص٢٢٣ .

الله : ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ . . . ﴾[2] » .

٣ ـ عن ابن عبّاس إنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال في غدير خم : «إنّ الله أرسلني إليكم برسالةٍ وإنّي ضقت بها ذرعـاً ، مخافة أن تتهموني، وتكذبوني ، حتى عاتبني ربي بوعيد أنزله عليّ بعد وعيد . . . »[3] .

٤ ـ عن الحسن أيضاً: « إنّ الله بعثني برسالةٍ ؛ فضقت بهـا ذرعاً ، وعرفت : أن الناس مكذّبي ، فوعدني لأبلّغنّ أو ليعذبني ، فأنزل الله : ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك . . . ﴾[4] » .

٥ ـ عن ابن عبّاس ، وجابر الأنصاري ، قالا : أمر الله تعالى محمـداً (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) : أن ينصب علياً للنـاس ، فيخبرهم بولايته ، فتخوف النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) أن يقولوا : حابى ابن عمّه ، وأن يطعنوا في ذلك فأوحى الله : ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك . . . ﴾[5] .

---

(٢) شواهد التنزيل ج١ ، ص١٩١ .

(٣) شواهد التنزيل ج١ ص١٩٣

(٤) الدر المنثور ج٢ ، ص١٩٣ .

(٤) الدر المنثور ج٢ ، ص٢٩٨ ، عن أبي الشيخ .

(٥) راجع : مجمع البيـان ج٣ ، ص٢٢٣ ، وتفسير العيـاشي ج١ ، ص٣٣١ ، وتفسير البرهان ج١ ، ص٤٨٩ ، وشواهد التنزيـل ج١ ، ص١٩٢ ، والغديـر ج١ ، ص٢١٩و٢٢٣ و٣٧٧ عـن المـجمـع ، وعـن روح المـعـاني ج٢ ، ص٣٤٨ .

٦ ـ عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)نزل بخم ، فتنحى الناس عنه ، ونزل معه علي بن أبي طالب ؛ فشقّ على النبي تأخّر الناس ؛ فأمر علياً فجمعهم ؛ فلمّا اجتمعوا قام فيهم ، متوسّد (يد) علي بن أبي طالب ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال:

« أيها الناس ، إنّه قد كرهت تخلّفكم عني حتى خُيّل إليَّ : أنّه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني . . . »[٦] .

٧ ـ ويقول نصّ آخر: إنّه لمّا أمر (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بنصب علي (عليه السلام) : « خشي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من قومه ، وأهل النفاق ، والشقاق: أن يتفرّقوا ويرجعوا جاهلية لما عرف من عداوتهم ، ولما ينطوي عليه أنفسهم لعلي (عليه السلام) من العداوة والبغضاء ، وسأل جبرئيل أن يسأل ربّه العصمة من الناس » .

ثم تذكر الرواية: « أنّه انتظر ذلك حتى بلغ مسجد الخيف . فجاءه جبرئيل ، فأمره بذلك مرّة أُخرى ، ولم يأته بالعصمة ، ثم جاء مرة أخرى في كراع الغميم ـ موضع بين مكّة والمدينة ـ وأمره

---

(٦) راجع : مناقب علي بن أبي طالب : لابن المغازلي : ص٢٥ والعمدة : لابن البطريق ص١٠٧ ، والغدير ج١ ، ص٢٢ عنه وعن الثعلبي في تفسيره ، كما في ضياء العالمين .

بذلك ، ولكنّه لم يأته بالعصمة .

ثم لمّا بلغ غدير خم جاءه بالعصمة ، فخطب (صلّى الله عليه واله وسلّم) الناس ، فأخبرهم: أن جبرئيل هبط إليه ثلاث مرّات يأمره عن الله تعالى ، بنصب علي (عليه السلام) إماماً ووليّاً للناس ـ إلى أن قال : ـ وسألت جبرئيل: أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم ـ أيها الناس ـ لعلمي بقلّة المتقين ، وكثرة المنافقين ، وإدغال الآثمين ، وختل المستهزئين بالإسلام ، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم : يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ويحسبونه هيّناً ، وهو عند الله عظيم . وكثرة أذاهم لي في غير مرّة ، حتى سمّوني أُذناً ، وزعموا : أنّي كذلك لكثرة ملازمته إيّاي ، وإقبالي عليه ، حتى أنزل الله عزّ وجلّ في ذلك قرآناً: ﴿ **ومنهم الذين يؤذون النبي ، ويقولون هو أُذن** ﴾ . . .

إلى أن قال ؛ ولو شئت أن أسمّيهم باسمائهم لسمّيت ، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت ، وأن أدلّ عليهم لفعلت . ولكني والله في أُمورهم تكرّمت . . »[7] .

٨ ـ عن مجاهد ، قال : « لما نزلت : ﴿ **بلّغ ما أُنزل إليك**

---

(٧) الإحتجاج ج١ ، ص٦٩ و٧٠ و٧٣ و٧٤ ، وراجع : روضة الواعظين : ٩٠و٩٢ والبرهان ج١ ، ص٤٣٧ ـ ٤٣٨ والغدير ج١ ، ص٢١٥ ـ ٢١٦ عن كتاب «الولاية» للطبري .

من ربك ﴾ . قال : يا رب ، إنّما أنا واحد كيف أصنع ، يجتمع عَلَيّ الناس ؟ فنزلت : ﴿ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ﴾[8] » .

٩ ـ قال إبن رستم الطبري : « فلما قضى حجّة وصار بغدير خم ، وذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة ، أمره الله عز وجل بإظهار أمر علي ؛ فكأنه أمسك لما عرف من كراهة الناس لذلك ، إشفاقاً على الدين ، وخوفاً من ارتداد القوم ؛ فأنزل الله ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك . . . ﴾[9] » .

١٠ ـ وفي حديث مناشدة علي (عليه السلام) للناس بحديث الغدير ، أيّام عثمان ، شهد ابن أرقم ، والبراء بن عازب ، وأبو ذر ، والمقداد ، أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال ، وهو قائم على المنبر ، وعلي (عليه السلام) إلى جنبه :

« أيها الناس ، إن الله عز وجل أمرني أن أنصب لكم إمامكم ، والقائم فيكم بعدي ، ووصيي ، وخليفتي ، والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته ، فقرب[10] بطاعته طاعتي ، وأمركم بولايته ، وإني راجعت ربّي خشية طعن أهل

---

(٨) الدر المنثور ج٢ ، ص٢٩٨ عن إبن أبي حاتم ، وعبد بن حميد وإبن جرير .
(٩) المسترشد في إمامة علي (عليه السلام) : ص٩٤ ـ ٩٥ .
(١٠) لعل الصحيح : فقَرَنَ .

النفاق ، وتكذيبهم ، فأوعدني لأبلغها ، أو ليعذبني . . . »[11]

وعند سليم بن قيس : « إن الله عز وجل أرسلني برسالة . ضاق بها صدري ، وظننت الناس يكذبوني ، وأوعدني . . . »[12] .

١١ ـ وعن ابن عبّاس : لما أمر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يقوم بعلي ابن أبي طالب المقام الذي قام به ؛ فانطلق النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى مكة ، فقال : رأيت الناس حديثي عهد بكفر ـ بجاهلية ـ ومتى أفعل هذا به ، يقولوا : صنع هذا بابن عمّه ثم مضى حتى قضى حجّة الوداع[13] .

وعن زيد بن علي ، قال: لما جاء جبرئيل بأمر الولاية ضاق النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بذلك ذرعاً ، وقال : قومي حديثوا عهدٍ بجاهليّة ، فنزلت الآية[14] .

---

(١١) فرائد السمطين ج١ ، ص٣١٥ و٣١٦ ، والغدير ج١ ، ص١٦٥ ـ ١٦٦ عنه ، وإكمال الدين ج١ ، ص٢٧٧ وراجع البرهان ج١ ، ص٤٤٥ و٤٤٤ وسليم بن قيس : ١٤٩ ، وثمة بعض الإختلاف في التعبير .

(١٢) سليم بن قيس : ص١٤٨ ، والبرهان ج١ ، ص٤٤٤ و٤٤٥ ، والغدير ج١ ، ص١٩٦ عن سليم بن قيس .

(١٣) الغدير ج١ ، ص٥١ ـ ٥٢ و٢١٧ و٣٧٨ ، عن كنز العمال ج٦ ، ص١٥٣ عن المحاملي في أماليه ، وعن شمس الأخبار ص٣٨ ، عن أمالي المرشد بالله ، وراجع كشف الغمة ج١ ، ص٣١٨ وغير ذلك .

(١٤) الغدير ج١ ، ص٢١٧ عن كشف الغمة ج١ ، ص٣١٧ .

١٢ ـ وروي : أنـه (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) لما إنتهى إلى غدير خم « نزل عليه جبرائيل ، وأمره أن يقيم علياً ، وينصبه إماماً للناس . فقال : إن أُمتي حديثوا عهد بالجاهلية .

فنزل عليه : إنها عزيمة لا رخصة فيها ، ونزلت الآية :

﴿ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس . . . ﴾(١٥) .

١٣ ـ وفي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) جاء فيها أنه حين نزلت آية إكمال الدين بولاية علي (عليه السلام) : « قال عند ذلك رسول الله : إنّ أُمتي حديثوا عهدٍ بالجاهلية ، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمّي ، يقول قائل ، ويقول قائل . فقلت في نفسي من غير أن ينطلق لساني ، فأتتني عزيمة من الله بتلةً أوعدني : إن لم ابلغ أن يعذبني فنزلت **﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك ﴾**(١٦) » .

وفي بعض الروايات : إنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إنما أخر نصبه (عليه السلام) فرقاً من الناس . أو لمكان الناس(١٧) .

---

(١٥) اعلام الورى : ص١٣٢ .

(١٦) البرهان في تفسير القرآن ج١ ، ص٤٨٨ ، والكافي ج١ ، ص٢٣٠ .

(١٧) تفسير العياشي ج١ ، ص٣٣٢ والبرهان (تفسير) ج١ ، ص ٤٨٩ .

ممن الخوف يا ترى

١٤ ـ عن الحسن : « ضاق بها ذرعاً ، وكان يهاب قريشاً ، فأزال الله بهذه الآية تلك الهيبة »[١٨] .

يريد : أن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ضاق ذرعاً وخاف قريشاً بالنسبة لبلاغ أمر الإمامة ، فأزال الله بآية : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ خوفه ذاك .

المتآمرون

هذا غيض من فيض مما يدل على دور المتآمرين من قريش ، ومن يدور في فلكها في صرف الأمر عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، وتصميمهم على ذلك ، لأسباب أشير إلى بعضها في ما نقلناه سابقاً من كلمات ونصوص .

وفي مقدمة هذه الأسباب حرص قريش على الوصول إلى السلطة ، وحقدها على أمير المؤمنين (عليه السلام) لما قد وترها في سبيل الله والدين .

وكل ما تقدم يفسر لنا السر فيما صدر من هؤلاء الحاقدين من صخب وضجيج ، حينما أراد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في منى وعرفات : أن يبلغ الناس أمر الإمامة ، ودورها ،

---

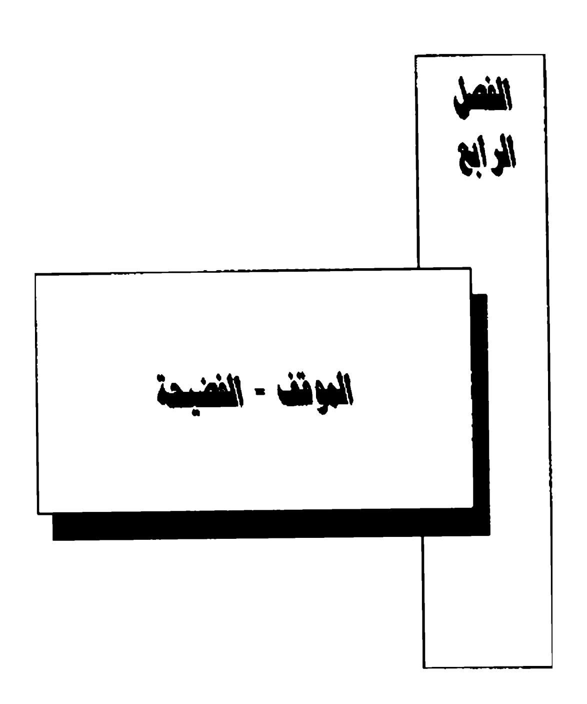
(١٨) مجمع البيان ج٣ ، ص٢٢٣ .

وأهميتها ، وعدد الأئمة ، وأنهم إثنا عشر إماماً ، وغير ذلك .

حيث قد تخوفوا من أن يكون قد أراد تنصيب علي (عليه السلام) إماماً للناس بعده . فكان التصدي منهم . الذي انتهى بالتهديد الإلهي . فإضطر المتآمرون إلى السكوت في الظاهر على مضض ، ولكنهم ظلوا في الباطن يمكرون ، ويتآمرون ، **﴿ ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾**[19] .

فإلى توضيح ذلك فيما يلي من صفحات ، وما تحويه من مطالب .

(١٩) سورة الأنفال الآية ٣٠ .


الفصل
الرابع
الموقف - الفضيحة

الصخب والغضب

لقد ذكرت الروايات الصحيحة : أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، قد خطب الناس في حجة الوداع ؛ في عرفة ، فلما أراد أن يتحدث في أمر الإمامة وذكر حديث الثقلين[1] ، ثم ذكر عدد الأئمة ، وأنهم إثنا عشر ، واجهته فئات من الناس بالضجيج والفوضى ، إلى حدّ أنه لم يتمكّن من إيصال كلامه إلى الناس .

وقد صرّح بعدم التمكّن من سماع كلامه كلّ من : أنس ، وعبد الملك بن عمير ، وعمر بن الخطّاب ، وأبي جحيفة ، وجابر بن سمرة[2] ـ ولكن رواية هذا الأخير ، كانت أكثر وضوحاً .

---

(١) راجع : حديث الثقلين ، للوشنوي : ص١٣ وما ذكره من مصادر .

(٢) راجع : كفاية الأثر ، للخزاز ، وراجع أيضاً : إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ وغير ذلك .

ويبدو أنّه قد روى ذلك مرّات عديدة ، فرويت عنه بأكثر من طريق . فنحن نختار بعض نصوصها ـ ولا سيما ما ورد منها في الصحاح والكتب المعتبرة ، فنقول :

١ ـ في مسند أحمد ؛ حدّثنا عبد الله ، حدّثني أبو الربيع الزهراني ، سليمان بن داود ، وعبيد الله بن عمر القواريري ، ومحمد بن أبي بكر المقدمي ، قالوا : حدّثنا حمّاد بن زيد ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن جابر بن سمرة ، قال :

خطبنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعرفات ـ وقال المقدمي في حديثه : سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)يخطب بمنى .

وهذا لفظ حديث أبي الربيع :

فسمعته يقول : لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً ، حتى يملك إثنا عشر كلّهم ـ ثم لغط القوم ، وتكلّموا ؛ ـ فلم أفهم قوله بعد (كلّهم) ؛ فقلت لأبي : يا أبتاه ، ما بعد كلّهم ؟ .

قال : كلّهم من قريش . . .

وحسب نصّ النعماني : « فتكلّم الناس فلم أفهم فقلت لأبي . . . »[٣] .

---

(٣) مسند أحمد ج٥ ، ص٩٩ ، والغيبة ـ للنعماني ص١٢٢ و١٢٤ .

٢ ـ عن الشعبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : « لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ، يُنصرون على من ناواهم عليه إلى إثني عشر خليفة . قال : فجعل الناس يقومون ويقعدون [زاد الطوسي] : وتكلّم بكلمة لم أفهمها ، فقلت لأبي ، أو لأخي . . . »[٤] .

وفي حديث آخر عن جابر بن سمرة صرّح فيه : أن ذلك قد كان في حجّة الوداع[٥] .

٣ ـ عن جابر بن سمرة ، قال : « خطبنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعرفات ؛ فقال : لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعا ظاهراً على من ناواه حتى يملك إثنا عشر ، كلّهم ـ قال : فلم أفهم ما بعد ـ قال : فقلت لأبي : ما قال بعد كلّهم ؟ قال : كلّهم من قريش »[٦] .

وعند أبي داود وغيره :ـ وإن لم يصرّح بأن ذلك كان في عرفات ـ زاد قوله : كلّهم تجتمع عليه الأمة . فسمعت كلاماً من النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم أفهمه ، فقلت

---

(٤) مسند أحمد ج٥ ، ص٩٩ ، والغيبة ـ للطوسي ص٨٨ و٨٩ ، واعلام الورى : ٣٨٤ ، والبحار ج٣٦ ، ص٢٣٦ ، منتخب الأثر ص٢٠ .

(٥) مسند أحمد ج٥ ، ص٩٩ .

(٦) مسند أحمد ج٥ ، ص٩٣ وفي ص٩٦ في موضعين .

لأبي . . . .[٧] .

وفي لفظ آخر : كلّهم يعمل بالهدى ودين الحق[٨] .

وفي بعض الروايات : ثم أخفى صوته ، فقلت لأبي : ما الذي أخفى صوته ؟ قال : قال : كلهم من بني هاشم[٩] .

٤ ـ وحسب نص آخر ، ذكر أن ذلك كان في حجة الوداع ، وقال :

ثم خفي عليّ قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مني ؛ فقلت : يا أبتاه ، ما الذي خفي عليّ من قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ؟ !

---

(٧) سنن أبي داود ج٤ ، ص١٠٦ ، ومسند أبي عوانة ج٤ ، ص٤٠٠ ، وتاريخ الخلفاء : ص١٠ و١١ ، وراجع : فتح الباري ج١٣ ، ص١٨١ وكرر عبارة «كلهم تجتمع عليه الأمة» في ص١٨٢ و١٨٣ و١٨٤ ، وذكرها أيضاً في الصواعق المحرقة : ص١٨ وفي إرشاد الساري ج١٠ ، ص٢٧٣ ، وينابيع المودة ص٤٤٤ وراجع : الغيبة ـ للطوسي ص٨٨ ، والغيبة ـ للنعماني ص١٢١ و١٢٢ و١٢٣ و١٢٤ .

(٨) الخصال ج٢ ، ص٤٧٤ ، والبحار ج٣٦ ، ص٢٤٠ عنه وعن عيون أخبار الرضا (عليه السلام) .

(٩) ينابيع المودة ص٤٤٥ عن كتاب : مودة القربى ، للسيد علي الهمداني ، المودة العاشرة .

قال : يقول « كلهم من قريش » .

قال : فأشهد على أبي إفهام أبي إيّاي : قال: « كلّهم من قريش »[10] .

٥ ـ وبعد أن ذكرت رواية أُخرى عنه حديث أن الأئمة إثنا عشر قال : ثم تكلّم بكلمة لم أفهمها ، وضج الناس ؛ فقلت لأبي : ما قال ؟ . .[11] .

٦ ـ ولفظ مسلم عن جابر بن سمرة ، قال : انطلقت إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ومعي أبي ؛ فسمعته يقول : لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى إثني عشر خليفة ؛ فقال كلمة صمّنيها الناس .

فقلت لأبي : ما قال ؟

قال : كلّهم من قريش .

وعند أحمد وغيره : فقلت لأبي ـ أو لأبني ـ : ما الكلمة التي أصمّنيها الناس ؟

قال : كلهم من قريش[12] .

---

(١٠) مسند أحمد ج٥ ، ص٩٠ .

(١١) مسند أحمد ج٥ ، ص٩٣ .

(١٢) صحيح مسلم ج٦ ، ص٤ ، وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ، ص١

٧ ـ وعن جابر بن سمرة قال : كنت عند النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فقال : يلي هذا الأمر إثنا عشر ، فصرخ الناس ؛ فلم أسمع ما قال ، فقلت لأبي ـ وكان أقرب إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مني ـ فقلت : ما قال رسول الله ؟

فقال : قال : كلّهم من قريش ، وكلهم لا يُرى مثله[١٣] .

٨ ـ ولفظ أبي داود : فكبّر الناس وضجوا ، ثم قال كلمة خفيّة . . .[١٤] .

ولفظ أبي عوانة : فضج الناس . وقد قال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كلمة خفيت عليّ . . .[١٥] .

وعلى كل حال . . فإن حديث الإثني عشر خليفة بعده (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، والذي قال فيه (صلّى الله عليه

عنه ، مسند أحمد ج٥ ، ص٩٨و١٠١ ، والبحار ج٣٦ ، ص٢٣٥ ، والخصال ج٢ ، ص٤٧٠و٤٧٢ ، والعمدة ـ لإبن البطريق : ص٤٢١ ، وراجع : النهاية في اللغة ج٣ ، ص٥٤ ، ولسان العرب ج١٢ ، ص٣٤٣ ونقل عن كتاب : القرب في محبة العرب ص١٢٩ .

(١٣) أبواب الإثني عشر ، وإكمال الدين ج١ ، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، والبحار ج٣٦ ، ص٢٣٩ .

(١٤) سنن أبي داود ج٤ ، ص١٠٦ ، وفتح الباري ج١٣ ، ص١٨١ ، وإرشاد الساري ج١٠ ، ص٢٧٣ .

(١٥) مسند أبي عوانة ج٤ ، ص٣٩٤ .

وآله وسلّم) كلمة لم يسمعها جابر ، وغيره ـ مِمّن كان حاضراً ، وروى الحديث : أولم يفهمها ، أو خفض بها صوته ، أو خفيت عليه ، أو نحو ذلك ـ هذا الحديث ـ مذكور في كثير من المصادر والمراجع ، فليراجعها طالبها[١٦] .

الفات النظر الى أمرين

وقبل أن نواصل الحديث ، فيما نريد التأكيد عليه ، فإننا نلفت النظر إلى أمرين .

الأول : المكان

فقد اختلفت الروايات حول المكان الذي أورد فيه

---

(١٦) راجع المصادر التالية : صحيح مسلم ج٦ ، ص٣ بعدّة طرق ، ومسند أحمد ج٥، ص٩٣و٩٢و٩٤و٩٠و٩٦و٩٥و٨٩و٩٧ و٩٨ و٩٩ و١٠٠و١٠١و١٠٦و١٠٧ و١٠٨ ، ومسند أبي عوانة ج٤ ، ص٣٩٤ ، وحلية الأولياء ج٤ ، ص٣٣٣ ، واعلام الورى : ٣٨٢ ، والعمدة ، لابن البطريق ص٤١٦ ـ ٤٢٢ ، وإكمال الدين ج١ ، ص٢٧٢ و٢٧٣ ، والخصال ج٢ ، ص٤٦٩ و٤٧٥ وفتح الباري ج١٣ ، ص١٨١ ـ ١٨٥ والغيبة للنعماني ص١١٩ ـ ١٢٥ وصحيح البخاري ج٤ ، ص١٥٩ وينابيع المودة ص٤٤٤ ـ ٤٤٦ وتاريخ بغداد ج٢ ، ص١٢٦ وج١٤ ، ص٣٥٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ، ص٦١٨ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك) نفس الصفحة ، ومنتخب الأثر ص١٠ ـ ٢٣ عن مصادر كثيرة ، والجامع الصحيح ج٤ ، ص٥٠١ وسنن أبي داود ج٤ ، ص١١٦ وكفاية الأثر ص٤٩ إلى آخر الكتاب ، والبحار ج٣٦ ، ص٢٣١ إلى آخر الفصل ، واحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ، ص١ ـ ٥٠ عن مصادر كثيرة .

النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هذه الخطبة . فذكرت طائفة من الروايات : أن ذلك قد كان في حجة الوداع ، في عرفات . .

ورواية واحدة تردد فيها الراوي بين عرفات ومنى .

وهناك طائفة من الروايات عبّرت بـ « المسجد »[17] .

وسكتت روايات أُخرى عن التحديد .

مع أنها جميعاً قد تحدثت عن حدوث فوضى وضجيج ، لم يستطع معه الراوي أن يسمع بقية كلام الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ؛ وتوجد روايات أشارت إلى عدم فهم الراوي ، ولم تشر إلى الضجيج .

فهل كرّر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذلك في المواضع المختلفة فكان يُواجه بالضجيج والفوضى ؟!

ويكون المقصود بالمسجد ، هو المسجد الموجود في مِنَى ، أو عرفة ؟! إن لم يكن ذكر مِنَى اشتباهاً من الراوي .

أم أنه موقف واحد ، اشتبه أمره على الرواة والمؤرخين ؟!

---

(١٧) راجع بالنسبة لخصوص هذه الطائفة من الروايات الخصال ج٢ ، ص٤٦٩ و٤٧٢ ، وكفاية الأثر : ص٥٠ ، ومسند أبي عوانة ج٤ ، ص٣٩٨ ، وإكمال الدين ج١ ، ص٢٧٢ ، وحلية الأولياء ج٤ ، ص٣٣٣ والبحار ج٣٦ ، ص٢٣٤ ، ومنتخب الأثر : ص١٩ .

أم أن ثمة يداً تحاول التلاعب والتشويش بهدف طمس الحقيقة ، وإثارة الشبهات حول موضوع هام وحساس جداً . ألا وهو موضوع الإمامة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

قد يمكن ترجيح احتمال تعدد المواقف ، التي أظهرت إصرار فئات الناس على موقف التحدي ، والخلاف . وذلك بسبب تعدد الناقلين ، وتعدد الخصوصيات والحالات المنقولة . .

الثاني : كلهم من قريش

ما ذكرته الروايات من أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد قال : « كلّهم من قريش » موضع شكّ وريب .

وذلك لأن ما تقدم من حقيقة الموقف الظالم لقريش ، ومن هم على رايها ، وخططهم التي تستهدف تقويض حاكمية خط الإمامة ، يجعلنا نجزم بأن العبارة التي لم يسمعها جابر بن سمرة ، وأنس ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن عمير ، وأبو جحيفة ، بسبب ما أثاره المغرضون من ضجيج هي كلمة :

« كلهم من بني هاشم » كما ورد في بعض النصوص[١٨] .

وهي الرواية التي استقر بها القندوزي الحنفي ، على

---

(١٨) ينابيع المودة : ص٤٤٥ عن مودة القربى ، وراجع : منتخب الأثر : ص١٤ وهامش ص١٥ عنه .

أساس : أنهم « لا يحسّنون خلافة بني هاشم »[١٩] .

إلاّ أنْ يكون (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد قال الكلمتين معاً ، أي أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال : « كلهم من قريش ، كلهم من بني هاشم » . ويكون ذكر الفقرة الأولى توطئة ، وتمهيداً لذكر الثانية ؛ فثارت ثائرة قريش وأنصارها ، وعجوا وضجوا ، وقاموا وقعدوا . . . ! !

وإلا . . فإن قريشاً ، ومن يدور في فلكها لم يكن يغضبهم قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : « كلهم من قريش » بل ذلك يسرهم ، ويفرحهم ، لأنه هو الأمر الذي ما فتئوا يسعون إليه ، بكل ما أوتوا من قوة وحول ، ويخططون ويتآمرون ، ويعادون ويحالفون من أجله ، وعلى أساسه ، فلماذا الهياج والضجيج ، ولماذا الصخب والعجيج ، لو كان الأمر هو ذلك ؟ ! .

الموقف . . الفضيحة

ولا نشك في أن طائفة الأخيار ، والمتقين الأبرار من صحابة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كانت تلتزم بأوامره (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وتنتهي بنواهيه ، وتسلم له (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في كل ما يحكم ويقضي به .

---

(١٩) ينابيع المودة : ص٤٤٦ .

أما من سواهم ـ وهم الأكثرية بالنسبة لأولئك ـ من أصحاب الأهواء ، وطلاب اللبانات ، وذوي الطموحات ، ممن لم يسلموا ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ؛ فاستسلموا ، وأصبح كثير منهم يتظاهر بالورع ، والدين والتقوى ، والطاعة والتسليم لله ، ولرسوله ، متخذاً ذلك ذريعة للوصول إلى مآربه ، وتحقيق أهدافه .

أما هؤلاء ، الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون ، ويسرون غير ما يعلنون ، فقد كان لا بد من كشف زيفهم وإظهار خداعهم بصورة أو بأخرى .

وقد رأينا : كيف أن هؤلاء الذين كانوا يتبركون بفضل وضوء رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وحتى ببصاقه ، ونخامته ، وو . . . ويدّعون الحرص على امتثال أوامر الله سبحانه بتوقيره ، وبعدم رفع أصواتهم فوق صوته[٢٠] وبالتأدّب معه ، وبأن

---

(٢٠) راجع سورة الحجرات : الآية١و٢ .

وقد ورد أنّ هذه الآيات نزلت حينما حصل إختلاف فيما بين أبي بكر وبين عمر حول تأمير بعض الأشخاص من قبل النبي ، فأصر أحدهما على شخص وأصر الآخر على آخر ، حتى ارتفعت أصواتهما .

راجع الدرّ المنثور ج٦ ، ص٨٣ ـ ٨٤ عن البخاري وابن المنذر وابن مردويه ، وأسباب النزول ص٢١٨ ، وصحيح البخاري ج٣ ، ص١٢٢ ، والجامع الصحيح ج٥ ، ص٣٨٧ ، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، ولباب التأويل ج٤ ، ص١٦٤ ، وفتح القدير ج٥ ، ص٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ، ص٣٠٠ ـ ٣٠١ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٢٦ ، ص٧٢ .

لا يقدموا بين يدي الله ورسوله وو . . .

لقد رأينا أن هؤلاء بمجرد إحساسهم بأنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يريد الحديث عن الأئمة الإثني عشر ، وبيان مواصفاتهم ، وتحديدهم بصورة أدقّ ، وأوفى وأتم . الأمر الذي جعلهم يخشون معه : أن يعلن إمامة من لا يرضون إمامته ، وخلافة من يرون أنه قد وترهم ، وآباد خضراءهم في مواقفه المشهورة دفاعاً عن الحق والدين ـ ألا وهو علي أمير المؤمنين (عليه السلام) . .

نعم ، إنهم بمجرد إحساسهم بذلك علا ضجيجهم ، وزاد صخبهم ، وعلى حدّ تعبير الروايات :

« ثم لغط القوم وتكلموا » .

أو : « وضَجّ الناس » .

أو : « فقال كلمة أصمّينها الناس » .

أو : « فصرخ الناس ، فلم أسمع ما قال » .

أو : « فكبر الناس ، وضَجّوا » .

أو : « فجعل الناس يقومون ، ويقعدون » .

نعم . . هذا كان موقفهم من الرسول ، وهؤلاء هم الذي يدعي البعض لهم مقام العصمة عن كل ذنب ، ويمنحهم وسام الإجتهاد في الشريعة والدين(!!) .

وقد تقدمت كلمات أمير المؤمنين (عليه الصّلاة السّلام) التي صرح فيها بأن العرب كرهت أمر محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وحسدته على ما آتاه الله من فضله ، واستطالت أيامه ، حتى قذفت زوجته ، ونفرت به ناقته .

ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة للرياسة ، وسلما إلى العز والإمرة ، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً .

وعلى هذا ، فإن من الطبيعي جداً : بعد أن جرى ما جرى منهم معه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في منى وعرفات وبعد أن تأكد لديهم إصرار النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على جعل الأمر في أهل بيته ، ولعلي (عليه السلام) على وجه الخصوص ، أن يظهر الحقد والبغض على وجوههم ، وفي حركاتهم وتصرفاتهم ، وعلى مجمل مواقفهم . وصاروا يعاملون رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) معاملة غريبة ، وبصورة بعيدة حتى عن روح المجاملة الظاهرية .

وقد واجههم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بهذه الحقيقة ، وصارحهم بها ، في تلك اللحظات بالذات .

ويتضح ذلك من النص المتقدم في الفصل السابق والذي يقول :

عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نزل بخم فتنحى الناس عنه ، ونزل معه علي بن أبي طالب ، فشقّ على النبي تأخّر الناس ، فأمر علياً ، فجمعهم ؛ فلما اجتمعوا قام فيهم متوسد (يد) علي بن أبي طالب ، فحمد الله ، واثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنه قد كرهت تخلفكم عني ، حتى خيل إلي : أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني[21] » .

وروى ابن حبان بسند صحيح على شرط البخاري ، ـ كما رواه آخرون باسانيد بعضها صحيح أيضاً :

إنه حين رجوع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من مكة ، ـ حتى إذا بلغ الكديد (أو قدير) جعل ناس من أصحابه يستأذنون ، فجعل (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يأذن لهم .

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) :

« ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر ؟ » .

---

(٢١) راجع : مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥ والعمدة لابن بطريق ص١٠٧ والغدير ج١ ص٢٢ عنه وعن الثعلبي في تفسيره ، كما في ضياء العالمين .

قال : فلم نر من القوم إلا باكياً ، قال : يقول أبو بكـر : إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه في نفسي الخ . . »[٢٢] .

---

(٢٢) الإحسان في تقريب صحيح إبن حبّان ج١ ، ص٤٤٤ ومسند أحمد ج٤ ، ص١٦ ومسند الطيالسي ص١٨٢ ومجمع الزوائد ج١٠ ، ص٤٠٨ وقال : رواه الطبراني ، والبزّاز بأسانيد رجال بعضها عند الطبراني والبزّار رجال الصحيح ، وكشف الأستار عن مسند البزّار ج٤ ، ص٢٠٦ وقال في هامش (الإحسان) : إنه في الطبراني برقم : ٤٥٥٦ و٤٥٥٩ و٤٥٥٧ و٤٥٥٨ و٤٥٦٠ .

الفصل
الخامس

الغدير في ظل التهديدات الإلهية

قريش وخلافة بني هاشم

قد عرفنا في الفصل السابق : أن قريشاً ، ومن هم على رأيها هم الذين كانوا يخططون لصرف الأمر عن بني هاشم ، وبالذات عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسّلام ، ويتصدّون لملاحقته ومتابعته في جميع تفاصيله وجزئياته .

وقد رأوا : أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان في مختلف المواقع والمواضع لا يزال يهتف باسمه ، ويؤكد على إمامته ، ولم يكن في مصلحتهم أن يعلن بذلك أمام تلك الجموع الغفيرة ، التي جاءت للحج من جميع الأقطار والأمصار ، ولأجل ذلك فقد بادروا إلى التشويش والإخلال بالنظام .

قريش بالذات هي التي قصدت النبي (صلّى الله عليه وآله

وسلّم) في منزله بعد هذا الموقف مباشرة لتستوضح منه ماذا يكون بعد هؤلاء الأئمة .

فكان الجواب : ثم يكون الهرج . والصحيح : (الفَرَج) ، كما رواه الخزّاز[1] .

وقد رأى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : أن مجرد التلميح لهذا الأمر ، قد دفعهم إلى هذا المستوى من الإسفاف والإسراف في التحدي لإرادة الله سبحانه . ولشخص النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، دون أن يمنعهم من ذلك شرف المكان ، ولا خصوصية الزمان ، ولا قداسة المتكلم ، وشأنه وكرامته .

فكيف لو أنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صرح بذلك وجهر باسمه عليه الصلاة والسلام ، فقد يصدر منهم ما هو أمر وأدهى ، وأقبح واشد خطراً على الإسلام وعلى مستقبله بصورة عامة .

التدخل الإلهي

ثم جاء التهديد الإلهي لهم ، فحسم الموقف ، وأبرم الأمر ، وظهر لهم أنهم عاجزون عن الوقوف في وجه إرادة الله ، القاضية بلزوم إقامة الحجة على الناس كافة ، بالأسلوب الذي يريده الله ويرتضيه ، وأدركوا : أن استمرارهم في المواجهة السافرة قد يؤدي

---

(١) راجع كفاية الأثر : ص٥٢ ، ويقارن ذلك مع ما في إحقاق الحق (الملحقات) وغيبة النعماني وغيرهما . . فإنهم صرحوا بان قريشاً هي التي أتته .

بهم إلى حرب حقيقية ، فيما بينهم وبين الله ورسوله ، وبصورة علنية ومكشوفة .

فلم يكن لهم بُدٌّ من الرضوخ ، والانصياع ، لاسيما بعد أن افهمهم الله سبحانه :

أنه يعتبر عدم إبلاغ هذا الأمر بمثابة عدم إبلاغ أصل الدين ، وأساس الرسالة ، ﴿وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ الأمر الذي يعني : العودة إلى نقطة الصفر ، والشروع منها ، وحتى لو انتهى ذلك إلى خوض حروب في مستوى بدر ، واحد والخندق ، وسواها من الحروب التي خاضها المسلمون ضد المشركين من أجل تثبيت أساس الدين وإبلاغه .

ومن الواضح لهم : أن ذلك سوف ينتهي بهزيمتهم وفضيحتهم ، وضياع كل الفرص ، وتلاشي جميع الآمال في حصولهم على امتياز يذكر ، أو بدونه ، حيث تكون الكارثة بانتظارهم ، حيث البلاء المبرم ، والهلاك والفناء المحتّم .

فآثروا الرضوخ إلى الأمر الواقع ، والإنحناء أمام العاصفة ، في سياسة غادرة وماكرة . .

ولزمتهم الحجة ، بالبيعة التي أخذت منهم له (عليه السلام) في يوم الغدير .

وقامت الحجة بذلك على الأُمة بأسرها أيضاً .

ولم يكن المطلوب أكثر من ذلك .

ثم كان النكث منهم لهذه البيعة ، وذلك بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وإحساسهم بالأمن ، وبالقوة .

﴿ فَمَنْ نَكَثَ فإنّما يَنْكُثُ على نَفْسِهِ ﴾[2] .

﴿ وَلَيَحمِلُنّ أثقالَهُمْ ، واثقالاً معَ أثقالِهم وليُسألُنّ يَوْمَ القِيامةِ عَما كانوا يفترونَ ﴾[3] .

تذكير ضروري : الورع والتقوى

وقد يدور بخلد بعض الناس السؤال التالي : إنه كيف يمكن أن نصدق أن يقدم عشرات الألوف من الصحابة على مخالفة ما رسمه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لهم في أمر الخلافة والإمامة . وهم أصحابه الذين رباهم على الورع والتقوى ، وقد مدحهم الله عز وجل في كتابه العزيز ، وذكر فضلهم ، وهم الذين ضحّوا في سبيل هذا الدين ، وجاهدوا فيه بأمواله وأنفسهم ! !

ونقول في الجواب

إن ما يذكرونه حول الصحابة أمر مبالغ فيه . وذلك لأن

---

(٢) سورة الفتح الآية ١٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآية١٣ .

الصحابة الذين حجوا مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قبيل وفاته ، وإن كانوا يعدون بعشرات الألوف .

ولكن لم يكن هؤلاء جميعاً من سكان المدينة ، ولا عاشوا مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فترات طويلة ، تسمح له بتربيتهم وتزكيتهم وتعليمهم وتعريفهم على أحكام الإسلام ، ومفاهيمه .

بل كان أكثرهم من بلاد أخرى بعيدة عن المدينة أو قريبة منها وقد فازوا برؤية النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هذه المرة ، وقد يكون بعضهم قد رآه قبلها أو بعدها بصورة عابرة أيضاً وقد لا يكون رآه .

وقد تفرق هؤلاء بعد واقعة الغدير مباشرة ، وذهب كل منهم إلى أهله وبلاده .

ولعل معظمهم ـ بل ذلك هو المؤكد ـ قد أسلم بعد فتح مكة ، وفي عام الوفود ـ سنة تسع من الهجرة : فلم يعرف من الإسلام إلا إسمه ، ومن الدين إلا رسمه مما هو في حدود بعض الطقوس الظاهرية والقليلة .

ولم يبق مع رسول الله بعد حادثة الغدير ، إلا أقل القليل من الناس مِمّن كان يسكن المدينة ، وقد يكونون ألفين أو أكثر ، وربما دون ذلك أيضاً .

وقد كان فيهم العدد من الخدم والعبيد ، والأتباع ، بالإضافة إلى المنافقين والذين مردوا على النفاق ممن أخبر الله عن وجودهم ، وأنهم كانوا من أهل المدينة ، ومن البلاد المجاورة لها .

ولم يكن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يعلمهم بصورة تفصيلية ، وكان الله سبحانه هو الذي يعلمهم .

هذا إلى جانب فئات من الناس ، من أهل المدينة نفسها ، كانوا لا يملكون درجة كافية من الوعي للدين ، وأحكامه ومفاهيمه ، وسياساته ، بل كانوا مشغولين بأنفسهم وملذاتهم وتجاراتهم ، فإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوا النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قائماً .

وقد تعرض كثير من الناس منهم لتهديدات النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بحرق بيوتهم ، لأنهم كانوا يقاطعون صلاة الجماعة التي كان يقيمها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالذات ، كما أنه قد كان ثمة جماعة أتخذت لنفسها مسجداً تجتمع فيه ، وتركت الحضور في جماعة المسلمين ، وهو ما عرف بمسجد الضرار ، وقد هدمه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، كما هو معروف .

وتكون النتيجة هي أنه لا يبقى في ساحة الصراع والعمل السياسي إلا أهل الطموحات ، وأصحاب النفوذ من قريش ،

صاحبة الطول والحول في المنطقة العربية بأسرها . بالإضافة إلى افراد معدودين من غير قريش أيضاً .

فكان هؤلاء هم الذين يدبرون الأمور ويوجهونها بالإتجاه الذي يصب في مصلحتهم ، ويؤكد هيمنتهم ، ويحركون الجماهير باساليب متنوعة ، أتقنوا الاستفادة منها بما لديهم من خبرات سياسية طويلة .

فكانوا يستفيدون من نقاط الضعف الكثيرة التي كانت لدى السذج والبسطاء ، أو لدى غيرهم مما لم يستحكم الإيمان في قلوبهم بعد ، ممن كانت تسيّرهم الروح القبلية ، وتهيمن على عقلياتهم وروحياتهم المفاهيم والرواسب الجاهلية .

كما أن اولئك الذين وترهم الإسلام ـ أو قضى على الإمتيازات التي لا يستحقونها ، وقد استأثروا بها لأنفسهم ظلما وعلوا ـ كانوا يسارعون إلى الإستجابة إلى أي عمل يتوافق مع احقادهم ، وينسجم مع مشاعرهم وأحاسيسهم الثائرة ضد كل ما هو حق وخير ، ودين وإسلام .

وهذا هو ما عبر عنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حينما ذكر : أن تأخيره إبلاغ أمر الإمامة بسبب أنه كان يخشى قومه ، لأنهم قريبوا عهد بجاهلية ، بغيضة ومقيتة ، لا يزال كثيرون منهم يعيشون بعض مفاهيمها ، وتهيمن عليهم بعض أعرافها .

وهكذا يتضح : أن الأخيار الواعين من الصحابة ، مهما كثر عددهم فإن الآخرين هم الذين كانوا يقودون التيار ، بما تهيأ لهم من عوامل وظروف فكان أن تمكنوا ـ في المدينة التي لم يكن فيها سوى بضعة الوف من الناس ، قد عرفنا بعض حالاتهم ـ من صرف الأمر ـ أمر الخلافة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ـ عن أصحابه الشرعيين ، إلى غيرهم حسبما هو مذكور ومسطور في كتب الحديث والتاريخ . .

خلاصة وبيان

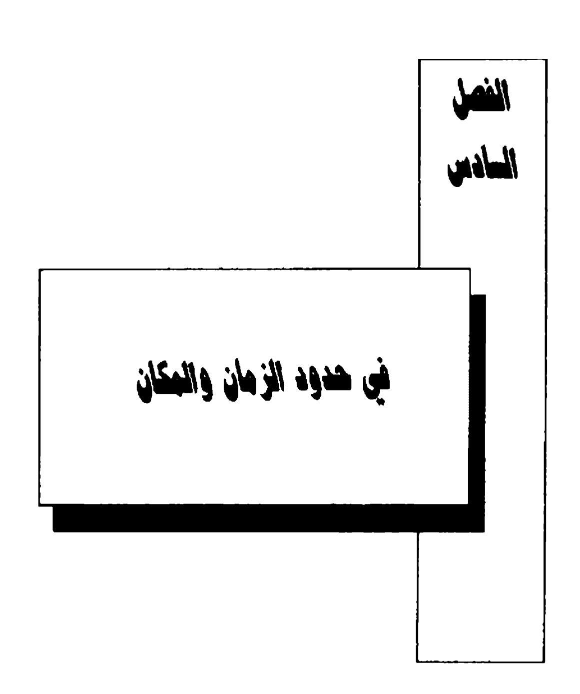
وبعد ما تقدم ، فإنه يصبح واضحاً أن الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يواجه عاصفة من التحدي ، والإصرار على إفشال الخطط الإلهية ، بأي ثمن كان ، وبأي وسيلة كانت !

وأن التدخل الإلهي والتهديد القرآني هو للعناصر التي أثارت تلك العاصفة ، وإفهامهم : أن إصرارهم على التحدي ، يوازي في خطورته وفي زيف نتائجه ، وقوفهم في وجه الدعوة الإلهية من الأساس ـ نعم إن هذا التدخل ـ هو الذي حسم الموقف ، ولجم التيار ، لاسيما بعد أن صرح القرآن بكفر من يتصدى ، ويتحدى ، وتعهد بالحماية والعصمة له (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فقال : ﴿ وَإِنْ لَم تَفعَلْ فَما بَلّغْتَ رِسالَتَهُ وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ الناسِ إنّ الله لا يَهدي القومَ الكافِرينَ ﴾[٤] .

(٤) سورة المائدة الآية٦٧ .

وإذا كان الله سبحانه هو الذي سيتصدى لكل معاند وجاحد ، فمن الـواضح : أنـه ليس بمقـدور أحـد أن يقف في وجـه الإرادة الإلهية ، فما عليهم إلا أن ينسحبوا من ساحة التحدي ، من أجـل أن يقيم الله حجته ، ويبلغ الرسـول (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) دينه ورسالته .

وليبـوؤاهم بـإثم المكـر والبغي ، وليحملوا وزر النكث ، والخيانة . . والله لا يهدي كيد الخائنين .



الفصل السادس

في حدود الزمان والمكان

دراسة الحدث في حدود الزمان والمكان

ونحن في نطاق فهمنا لموقف النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في حجة الوداع في منى وعرفات ، ومنع قريش له من نصب علي (عليه السلام) إماماً للأمة ، نسجل النقاط التالية :

١ ـ يوم عبادة

إن يوم عرفة هو يوم عبادة ودعاء وابتهال ، وانقطاع إلى الله ، سبحانه ، ويكون فيه كل واحد من الناس منشغلاً بنفسه ، وبمناجاة ربه ، لا يتوقع في موقفه ذاك أي نشاط سياسي عام ، ولا يخطر ذلك له على بال .

فإذا رأى أن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يبادر إلى عمل من هذا القبيل ، فلا بد وأن يشعر : أن هناك أمراً بالغ

الخطورة ، وفائق الأهمية ، فينشدّ لسماع ذلك الأمر والتعرف عليه ، ويلاحق جزئياته بدقة ووعي ، وبانتباه فائق .

٢ ـ لماذا في موسم الحج

وإذا كان موسم الحج هو المناسبة التي يجتمع فيها الناس من مختلف البلاد ، على إختلاف طبقاتهم ، وأجناسهم ، وأهوائهم ، فإن أي حدث متميز يرونه ويشاهدونه فيه لسوف تنتشر أخباره بواسطتهم على أوسع نطاق ، فكيف إذا كان هذا الحدث يحمل في طياته الكثير من المفاجآت ، والعديد من عناصر الإثارة ، وفيه من الأهمية ما يرتقي به إلى مستوى الأحداث المصيرية للدعوة الإسلامية بأسرها .

٣ ـ وجود الرسول أيضاً

كما أن وجود الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في موسم الحج ، لسوف يضفي على هذه المناسبة المزيد من البهجة ، والإرتياح ، ولسوف يعطي لها معنى روحياً أكثر عمقاً ، وأكثر شفافية وسيشعرون بحساسية زائدة تجاه أي قول أو فعل يصدر من جهته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وسيكون الدافع لديهم قوياً لينقلوا للناس مشاهداتهم ، وذكرياتهم في سفرهم الفريد ذاك .

كما أن الناس الذين يعيشون في مناطق بعيدة عنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ويشتاقون إليه ، لسوف يلذّ لهم سماع تلك الأخبار ، وتتبعها بشغف ، وبدقة وبإنتباه زائد ؛ ليعرفوا كل ما صدر

من نبيهم ، من : قـول ، وفعـل ، وتـوجيـه ، وسلوك ، وأمـر ، ونهي ، وتحذير ، وترغيب وما إلى ذلك .

٤ ـ الذكريات الغالية

وكـل من رافق النبي (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) في هـذا السفر العبادي ، لسوف يحتفظ في ذاكرته بذكريات عـزيزة وغـالية على قلبـه ، تبقى حية غضـة في روحه وفي وجـدانه ، على مـدى الأيام والشهور ، والأعوام والدهور ، ما دام أن هـذه هي آخر مـرّة يرى فيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، أعظم وأكرم ، وأغلى رجل وجد ، ويوجد على وجه الأرض .

وحين تتخذ العلاقة بالحدث بعداً عاطفياً ، يـلامس مشاعـر الإنسان ، وأحاسيسه ، فإنها تصبح اكثر رسوخاً وحيوية ، وابعد أثراً في مجال الإلتزام والموقف .

٥ ـ الناس أمام مسؤولياتهم

وبعـد أن عرفنـا أنه (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) قـد اختار الزمان ، ليكون يوم العبادة والإنقطاع إلى الله سبحانه ـ يـوم عرفة ـ والمكـان ، وهـو نفس جبـل عـرفـات ، ثم اختـار الخصـوصيـات والحالات ذات الطابع الخاص ، ككونها آخـر حجة للنـاس معه ، حيث قد أخبر الناس : أن الأجل قد أصبح قريباً .

ثم اختار أُسلوب الخطاب الجمـاهيري ، لا خـطاب الأفراد

والأشخاص ، كما هو الحال في المناسبات العادية ، ـ إذا عرفنا ذلك ، وسواه ـ فإنه يصبح واضحاً : أنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد أراد أن يضع الأمة أمام مسؤولياتها ، ليفهمها : أن تنفيذ هذا الأمر يقع على عاتقها جميعاً ؛ فليس للأفراد أن يعتذروا بأن هذا أمر لا يعنيهم ، ولا يقع في دائرة واجباتهم ، كما أنهم لا يمكنهم دعوى الجهل بأبعاده وملابساته ، بل الجميع مطالبون بهذا الواجب ، ومسؤولون عنه ، وليس خاصاً بفئة من الناس ، لا يتعداها إلى غيرها ، وبذلك تكون الحجة قد قامت على الجميع ، ولم يبق عذر لمعتذر ، ولا حيلة لمتطلب حيلة .

٦ ـ احتكار القرار

وهذه الطريقة في العمل قد أخرجت القضية عن احتكار جماعة بعينها ، قد يروق لها أن تدعي : أنها وحدها صاحبة الحل والعقد في هذه المسألة ـ أخرجها عن ذلك لتصبح قضية الأمة بأسرها ، ومن مسؤولياتها التي لا بد وأن تطالَب ، وتطالِب بها ، فليس لقريش بعد هذا ، ولا لغيرها : أن تحتكر القرار في أمر الإمامة والخلافة ، كما قد حصل ذلك بالفعل .

ولنا أن نعتبر هذا من أهم إنجازات هذا الموقف ، وهو ضربة موفقة في مجال التخطيط لمستقبل الرسالة ، وتركيز الفهم الصحيح لمفهوم الإمامة لدى جميع الأجيال ، وعلى مر العصور .

وقد كان لا بد لهذه القضية من أن تخرج من يد أناس يريدون

أن يمارسوا الإقطاعية السياسية والدينية ، على أسس ومفاهيم جاهلية ، دونما اثارة من علم ، ولا دليل من هدى وإنما من منطلق الأهواء الشيطانية والأطماع الرخيصة ، والأحقاد المقيتة والبغيضة .

٧ ـ تساقط الاقنعة

ولعل الإنجاز الأهم هنا هو : أنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد استطاع أن يكشف زيف المزيفين ، وخداع الماكرين ، ويعريهم أمام الناس ، حتى عرفهم كل أحد ، وبأسلوب يستطيع الناس جميعاً على اختلاف مستوياتهم وحالاتهم ودرجاتهم في الفكر ، وفي الوعي ، وفي السنّ ، وفي الموقع ، وفي غير ذلك من أمور أن يدركوه ويفهموه . فقد رأى الجميع : أن هؤلاء الذين يدعون : أنهم يوقرون رسول الله ويتبرّكون بفضل وضوئه ، وببصاقه ، وحتى بنخامته ، وأنهم يعملون بالتوجيهات الإلهية التي تقول :

﴿ لا تُقَدموا بَيْنَ يَدَي الله وَرَسُولِهِ ﴾[1] .

﴿ لا تَرْفَعُوا أصْواتَكُمْ فَوقَ صَوْتِ النَّبيِ ، وَلا تَجهَرُوا لَهُ بِالقولِ كَجَهْرِ بَعضكُم لِبَعضٍ ﴾[2] .

---

(١) سورة الحجرات الآية١ .

(٢) سورة الحجرات الآية٢ .

﴿ ما آتاكُمُ الرسُولُ فَخُذُوهُ ، وَما نَهاكُم عَنهُ فَانْتَهُوا ﴾[٣] .

﴿ أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسول ﴾[٤] .

وغير ذلك من آيات تنظم تعاملهم ، وتضع الحدود ، وترسم معالم السلوك معه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، مما يكون الفسق والخروج عن الدين ، في تجاهله وفي تعديه .

هذا إلى جانب اعترافهم بما له (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من فضل عليهم وأياد لديهم ، فإنه هو الذي أخرجهم ـ بفضل الله : من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ، وأبدلهم الذل بالعزّ ، والشقاء بالسعادة ، والنار بالجنان .

مع أنهم يدعون : أنهم قد جاؤا في هذا الزمان الشريف ، إلى هذا المكان المقدس ـ عرفات ـ لعبادة الله سبحانه وطلب رضاه ، منيبين إليه سبحانه ، ليس لهم في حطام الدنيا ، وزخارفها ، مطلب ولا مأرب .

ولكن مع ذلك كله . . فقد رأى الجميع بأم أعينهم : كيف أن حركة بسيطة منه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد أظهرتهم على حقيقتهم ، وكشفت خفيّ مكرهم ، وخادع زيفهم ، ورأى كل أحد

---

(٣) سورة الحشر الآية٧ .

(٤) سورة النساء الآية٥٩ .

كيف أنهم : لا يوقرون رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) ، ويرفعون أصواتهم فوق صوته ، ويجهرون له بالقول أكثـر من جهر بعضهم لبعضهم ، ويعصون أوامره ، كـل ذلك رغبـةً في الدنيـا ، وزهـداً في الآخرة ، وطلبـاً لحظ الشيطان ، وعـزوفاً عن الكـرامـة الإلهية ورضى الرحمن .

٨ ـ وعلى هذه فقس ما سواها

وإذا كان هؤلاء لا يتورعون عن معاملة نبيهم بهـذا الأسلوب الـوقح والقبيـح ، فهل تـراهم يوقـرون من هو دونـه ، في ظـروف وحـالات لا تصـل إلى حـالاتهم معـه (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) ،ولا تدانيها ؟! .

ومـاذا عسى أن يكون مـوقفهم ممن طفحت قلوبهم بالحقـد عليـه ، ولهم قِبَلَهُ تـرات وثـارات من قتلهـم على الـشـرك من اسلافهم ، كعلي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه .

وهكـذا . . فإنـه يكـون (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) قـد أفقـدهم ، وأفقد مؤيـديهم كل حجـة ، وحجب عنهم كل عـذر ، سوى البغي والإصرار على الباطل ، والجحود للحق ؛ فقد ظهر ما كان خفياً ، وأسفر الصبح لذي عينين ، ولم يعد يمكن الإحـالة ، على المجهول ، بدعوى : أنه يمكن أن يكون قد ظهر لهم ما خفي علينا .

أو أنهم ـ وهم الأتقياء الأبرار ـ لا يمكن أن يخالفوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ولا أن يبطلوا تدبيره ، ويخونوا عهده ، وهو لمّا يُدْفن .

أو أن من غير المعقول : أن تصدر الخيانة من أكثر الصحابة ؟! أو أن يسكتوا بأجمعهم عليها .

وما إلى ذلك من أساليب يمارسهاالبعض لخداع السذج والبسطاء ومن لا علم لهم بواقع أولئك الناس ، ولا بمواقفهم .

فإن كل هذه الدعاوى قد سقطت ، وجميع تلكم الأعذار قد ظهر زيفها وبطلانها ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .

٩ ـ القرار الالهي الثابت

والذي ساهم في قطع كل عذر ، وبوار كل حجة : أن ذلك قد كان منهم في الأيام الأخيرة من حياته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، بحيث لم يبق مجال لدعوى الإنابة والتوبة ، أو الندم على ما صدر منهم ، ولا لدعوى تبدل الأوضاع والأحوال ، والظروف والمقتضيات ، ولا لدعوى تبدل القرار الإلهي النبوي .

١٠ ـ التهديد والتآمر

هذا . . وقد تقدم : أن هؤلاء أنفسهم حينما رأوا جدية التهديد الإلهي ، قد سكتوا في المرحلة اللاحقة ، حينما قام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليعلن إمامة علي (عليه السلام)

في غدير خم ؛ فلم نجد منهم أية بادرة خلاف ، إلا فيما ندر من همسات عابرة ، لا تكاد تسمع .

وقد بادر هؤلاء أنفسهم إلى البيعة له (عليه السلام) . وإن كانوا قد أسروا وبيتوا ما لا يرضى الله ورسوله من القول والفعل ، والنية والتخطيط . الذي ظهرت نتائجه بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وهو (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لما يدفن ، بل وقبل ذلك ، حينما تصدى بعضهم لمنع النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من كتابة الكتاب بالوصية لعلي (عليه السلام) حينما كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على فراش المرض ، في ما عرف برزية يوم الخميس ! وقال قائلهم : إن النبي ليهجر ! أو : غلبه الوجع ![5] .

---

(٥) الإيضاح : ص٣٥٩ ، وتذكرة الخواص : ص٦٢ ، وسرّ العالمين : ٢١ ، وصحيح البخاري ج٣ ، ص٦٠ وج٤ ، ص٥ و١٧٣وج١ ، ص٢١ ـ ٢٢ وج٢ ، ص١١٥ ، والمصنف للصنعاني ج٦ ، ص٥٧ وج١٠ ، ص٣٦١ ، وراجع ج٥ ، ص٤٣٨ ، والإرشاد للمفيد ص١٠٧ والبحار ج٢٢ ، ص٤٩٨ وراجع : الغيبة للنعماني ص٨١ ـ ٨٢ وعمدة القاري ج١٤، ص٢٩٨ وفتح الباري ج٨ ، ص١٠١و١٠٢ والبداية والنهاية ج٥ ، ص٢٢٧ ، والبدء والتاريخ ٥ ، ص٥٩ ، والملل والنحل ج١ ، ص٢٢ ، والطبقات الكبرى ج٢ ، ص٢٤٤ ، وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ، ص١٩٢ ـ ١٩٣ ، والكامل في التاريخ ج٢ ، ص٣٢٠ ، وأنساب الأشراف ج١ ، ص٥٦٢ ، وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ، ص٥١ ، وتاريخ الخميس ج٢ ، ص١٦٤ ، وصحيح مسلم

١١ ـ الخير فيما وقع

وأخيراً . . فإن ما جرى في عـرفة ، ومنى ، وإظهـار هؤلاء الناس على حقيقتهم ، وما تبع ذلك من فوائد وعوائد أشيـر اليها ، قد كان ضرورياً ولازماً ، للحفاظ على مستقبل الدعوة ، وبقائها ، فقد عرفت الأمة الوفي من المتـآمر ، والمؤمن الخـالص ، من غير الخالص ، وفي ذلك النفع الكثير والخير العميم .

﴿ فَعَسى أَنْ تَكرَهُوا شَيْئاً ، وَيَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً ﴾[٦] .

وصدق الله ورسوله ، وخاب من افترى . .

﴿ فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ ﴾[٧] .

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

ج ص٧٥ ، ومسند أحمد ج١ ، ص٣٥٥ وص٣٢٤ وص٣٢٥ والسيرة الحلبية ج٣ ، ص٣٤٤ ، ونهج الحق : ص٢٧٣ ، والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ قسم٢ ، ص٦٢ .

وراجـع : حق اليقين ج١ ، ص١٨١ ـ ١٨٢ ودلائـل الصـدق ج٣ قسم١ ، ص٦٣ ـ ٧٠ ، والصراط المستقيم ج٣ ، ص٣و٦ ، والمراجعـات : ٣٥٣ ، والنص والإجتهاد : ١٤٩ ـ ١٦٣ .

(٦) سورة النساء الآية١٩ .

(٧) سورة الفتح الآية١٠ .

كلمة أخيرة

وإنني في نهاية هذا البحث أشكر القارىء الكريم على حسن متابعته لي ، وأود أن أذكره بأن هـذا البحث ما هـو إلا خطوة أولى على طريق الكشف عن الحقيقة ، وعن الظروف التي أحاطت بهذه القضية الحساسة جداً .

ويبقى المجـال مفتوحـاً أمام البـاحثين والمحققين ليتحفـونـا بالمزيد من ثمار جهودهم ، التي من شأنها أن تعرفنـا على المزيـد مما شاءت له السياسات الظالمة أن ينكتم وينستر ، أو أن يتلاشى ، وينعدم ويندثر .

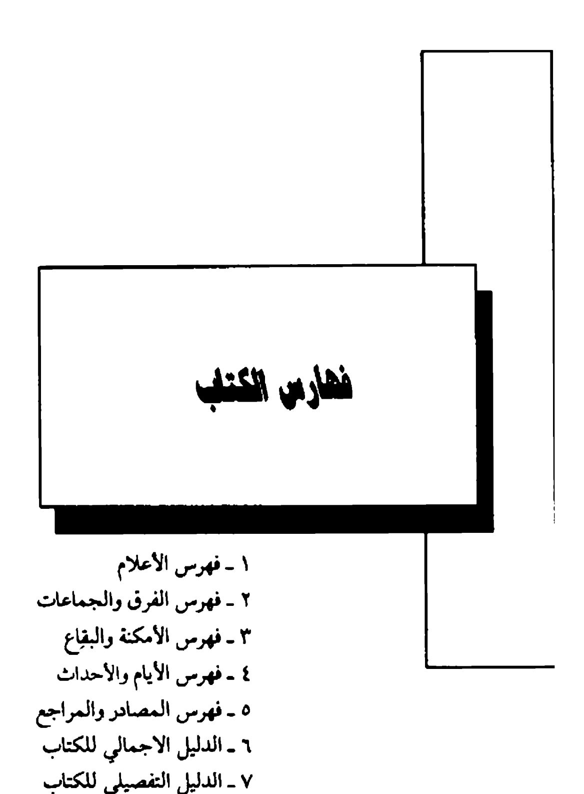
مع التأكيد على أن هذا البحث لا يغني عن المراجعة إلى ما كتبه علماؤنـا الأبرار رضـوان الله تعالى عليهم في مجـال استخراج نصـوص هذا الحـدث من مئات المصـادر ، الموثـوقة لـدى أهـل السنة ، فضلاً عما ورد منها في كتب الشيعة ثم في مجال استنطاق

الحدث في اشاراته ودلالاته ، وفيما يرتبط بظروفه وحـالاته ثم في بواعثه وغـاياتـه ؛ فانهم رضـوان الله تعالى عليهم ، قـد بذلـوا من جهـدهم الغايـة ، وأتوا بمـا فيه مقنـع وكفايـة ، لمن أراد الـرشـد والهداية .

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام القويم ، ونسأله تعالى أن يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأن يأخذ بيدنا في سبيل الخير والصلاح ، والنجاح والفلاح ، إنه خير مأمول ، وأكرم مسؤول .

قم المشرفة ـ ذو الحجة ـ سنة ١٤١٠ هـ .ق .

(جعفر مرتضى العاملي)



فهارس الكتاب

١ ـ فهرس الأعلام
٢ ـ فهرس الفرق والجماعات
٣ ـ فهرس الأمكنة والبقاع
٤ ـ فهرس الأيام والأحداث
٥ ـ فهرس المصادر والمراجع
٦ ـ الدليل الاجمالي للكتاب
٧ ـ الدليل التفصيلي للكتاب

١ ـ فهرس الأعلام

٢ ـ فهرس الفرق والجماعات

٣ ـ فهرس الأمكنة والبقاع

٤ ـ فهرس الأيام والأحداث

٥ ـ فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

ـ أ ـ

٢ ـ الإحتجاج ، للطبرسي طبعة سنة ١٣٨٦ هـ . ق .

٣ ـ الإحسان في تقريب صحيح إبن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان البستي طبعة سنة ١٤٠٨ هـ . ق ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت لبنان .

٤ ـ إحقاق الحق (الملحقات) للمرعشي النجفي ـ طبعة قم ـ إيران .

٥ ـ الإرشاد ـ المفيد طبعة النجف الأشرف ـ العراق .

٦ ـ إرشاد الساري ، للقسطلاني ، طبعة سنة ١٣٠٤ هـ . ق ـ دار المعرفة ـ بيروت ، لبنان . . .

٧ ـ أسباب النزول ، للواحدي طبعة سنة ١٣٨٧ هـ . ق .

٨ ـ أسـد الغابـة لإبن الأثير الجـزري ، طبعـة سنـة ١٣٨٠ هـ . ق ـ ثم انتشارات إسماعيليان ـ طهران ـ إيران .

٩ ـ إعـلام الورى ، للطبـرسي ، طبعة سنـة ١٣٩٠ هـ . ق ـ المطبعـة الحيدرية ـ النجف الأشرف .

١٠ ـ الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني .

١١ ـ الأمـالي ، للشيخ المفيـد ، منشورات جمـاعـة المـدرسين ـ قم ـ إيران .

١٢ ـ الإمامة والسياسة ، لإبن قتيبة ـ طبعة سنة ١٣٨٨ هـ . ق ـ مصر .

١٣ ـ أنسـاب الأشراف ، للبـلاذري ، بتحقيق المحمودي ـ طبعـة سنـة ١٣٩٤ بيروت ـ لبنان .

١٤ ـ الأوائـل ، لأبي هلال العكسـري ، طبعة سنـة ١٩٧٥ م ـ دمشق ـ سوريا .

١٥ ـ الإيضاح ، لإبن شاذان ، طبعة سنة ١٣٩٢هـ . ق ـ جامعة طهران ـ إيران .

ـ ب ـ

١٦ ـ بحـار الأنوار ، للعـلامة المجلسي ـ طبعـة دار الـوفـاء ـ بيـروت ـ لبنان ، والطبعة الحجرية .

١٧ ـ البدء والتاريخ ، للمقدسي ط سنة ١٩٨٨ م .

١٨ ـ البداية والنهاية لإبن كثير طبعة سنة ١٩٦٦ م .

١٩ ـ البرهان في تفسيـر القرآن ، للبحـراني ـ دار الكتب العلمية ـ قم ـ إيران .

٢٠ ـ بهج الصباغة ، للتستري ـ طبعة سنة ١٣٩٠ هـ .ق ـ مكتبة الصدر ـ طهران ـ إيران .

ـ ت ـ

٢١ ـ تاريخ الأمم ، والملوك ، للطبري طبعة دار المعارف بمصر .

٢٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان .

٢٣ ـ تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ـ طبعة سنة ١٣٧١ هـ .ق ـ مصر .

٢٤ ـ تاريخ الخميس ، للدياربكري طبعة سنة ١٣٨٢٢ هـ .ق .

٢٥ ـ تاريخ المدينة ، لإبن شبة ، طبعة سنة ١٤١٠ هـ .ق ـ دار الفكر ـ قم إيران .

٢٦ ـ تاريخ اليعقوبي ، لإبن واضح ، طبعة دار صادر ـ بيروت ـ لبنان .

٢٧ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب ، من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) طبعة بيروت ـ لبنان .

٢٨ ـ تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي ، طبعة سنة ١٣٨٣ هـ .ق ـ النجف الأشرف ـ العراق .

٢٩ ـ تفسير العياشي ، نشر المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ـ إيران .

٣٠ ـ تفسير القرآن العظيم ، لإبن كثير ، منشورات دار الفكر .

٣١ ـ تلخيص المستدرك على الصحيحين ، للذهبي ، مطبوع بهامش المستدرك نفسه في الهند ، سنة ١٣٤٢ هـ .ق .

- ج -

٣٢ ـ الجامع الصحيح ، للترمذي ، نشر المكتبة الإسلامية ، للحاج رياض الشيخ .

٣٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ـ طبعة دار أحياء التراث ، بيروت ـ لبنان .

- ح -

٢٤ ـ حديث الثقلين ، للشيخ قوام الدين الوشنوي ، طبعة دار التقريب القاهرة .

٣٥ ـ حق اليقين ، للسيد شبر ، أفست عن طبعة سنة ١٣٥٢٢ هـ .ق ـ مطبعة العرفان صيدا ـ لبنان .

٣٦ ـ حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، طبعة سنة ١٣٨٧ هـ . ق دار الكتاب العربي : بيروت ـ لبنان ـ .

- خ -

٣٧ ـ الخصال ، للشيخ الصدوق ، طبعة سنة ١٤٠٣ هـ . ق ، منشورات جماعة المدرسين ـ قم ـ إيران .

- د -

٣٨ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة منشورات مكتبة بصيرتي ـ سنة ١٣٩٧ هـ . ق ـ قم ـ إيران .

٣٩ ـ الدر المنثور ، للسيوطي طبعة سنة ١٣٧٧ هـ . ق .

٤٠ ـ دلائل الصدق ، للمظفر طبعة سنة ١٣٩٥ هـ . ق .

- ر -

٤١ ـ روضة الواعظين ، للفتّال النيسابوري ، طبعة الحيدرية ، سنة ١٣٨٦ هـ . ق .

- س -

٤٢ ـ سر العالمين ، منسوب إلى الغزالي ـ ط سنة ١٣٨٥ هـ.ق ـ مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف العراق .

٤٣ ـ سنن ابن ماجة ، طبعة سنة ١٣٧٣ هـ.ق .

٤٤ ـ سنن أبي داود ، نشر دار إحياء السُّنّة النبوية .

٤٥ ـ السيرة الحلبية ، للحلبي الشافعي طبعة سنة ١٣٢٠ هـ.ق .

- ش -

٤٦ ـ شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد المعتزلي ، طبعة سنة ١٣٨٥ هـ.ق ـ مصر ـ .

٤٧ ـ شواهد التنزيل ، للحسكاني ، طبعة الأعلمي ـ بيروت : سنة ١٣٩٣ هـ.ق .

- ص -

٤٨ ـ صحيح البخاري ، ط سنة ١٣٠٩ ـ هـ.ق ـ مصر .

٤٩ ـ صحيح مسلم ، طبعة محمد علي صبيح وأولاده ـ مصر ـ .

٥٠ ـ الصراط المستقيم ، للبياضي ، ط الحيدرية سنة ١٣٨٤ هـ.ق العراق .

٥١ ـ الصواعق المحرقة ، لأحمد بن حجر الهيثمي المكي ، دار الطباعة المحمدية ـ القاهرة .

- ط -

٥٢ ـ الطبقات الكبرى ، لإبن سعد طبعـة دار صادر سنـة ١٣٨٨ هـ.ق ـ بيروت ـ لبنان .

- ع -

٥٣ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لإبن خلدون طبعة سنة ١٣٩١ هـ.ق ـ بيروت ـ لبنان .

٥٤ ـ العمـدة ، لإبن البطريق ، طبعـة مؤسسة النشـر الإسلامي التـابعة لجماعة المدرسين ، سنة ١٤٠٧ هـ.ق ـ قم ـ إيران .

٥٥ ـ عمدة القاري ، للعيني ط دار الفكر .

٥٦ ـ عيون الأخيار ، لإبن قتيبة ـ دار الكتب ـ مصر .

- غ -

٥٧ ـ الغارات ، للثقفي ، طبع مطبعة الحيدري ـ إيران .

٥٨ ـ الغدير ، للعـلامة الأميني ، طبعـة سنة ١٣٩٧ هـ.ق دار الكتـاب العربي ، بيروت ـ لبنان .

٥٩ ـ غرائب القرآن ، للنيسابوري المطبوع بهامش جامـع البيان ، سنـة ١٣٢٣ هـ.ق .

٦٠ ـ الغيبـة ، للطوسي مـطبعـة النعمـان ، سنـة ١٣٨٥ هـ.ق النجف الأشرف ـ العراق .

٦١ ـ الغيبة ، للنعماني مكتبة الصدوق ، طهران ـ إيران .

- ف -

٦٢ ـ فتح الباري ، للعسقلاني ، نشر دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان .

٦٣ ـ فتح القدير ، للشوكاني ـ نشر دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

٦٤ ـ فرائد السّمطين ، للجويني طبعة بيروت .

ـ ق ـ

٦٥ ـ قاموس الرجال ، للتستري ، طبعة طهران ـ مركز نشر الكتاب .

ـ ك ـ

٦٦ ـ الكافي : الأصول المطبعة الإسلامية سنة ١٣٨٨ هـ.ق إيران .

٦٧ ـ الكامل في التاريخ ، لإبن الأثير ـ طبعة صادر ـ بيروت لبنان .

٦٨ ـ كتاب سليم بن قيس ، طبعة سنة ١٤٠٧هـ.ق مؤسسة البعثة ـ طهران ـ ايران .

٦٩ ـ كشف الأستار ، عن مسند البزارط سنة ١٤٠٥ هـ.ق ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان .

٧٠ ـ كشف الغمة للأربلي ، المطبعة العلمية ـ قم ـ إيران .

٧١ ـكفاية الأثر ، للخزاز القمي ، طبعة سنة ١٤٠١ هـ.ق ـ مطبعة الخيام ـ قم إيران .

٧٢ ـ كفاية الطالب ، للكنجي الشافعي ، المطبعة الحيدرية ، سنة ١٣٩٠ هـ.ق النجف الأشرف العراق .

٧٣ ـ كمال الدين ، للشيخ الصدوق ـ طبعة سنة ١٣٩٥ هـ .ق طهران ـ إيران .

٧٤ ـ كنز العمال ، للمتقي الهندي ، طبعة الهند ، سنة ١٣٨١ هـ .ق .

٧٥ ـ كنز الفوائد ، للكراجكي ، طبعة حجرية .

- ل -

٧٦ ـ لباب التاويل ، للخازن طبعة سنة ١٣١٧ هـ .ق ـ ثم نشر دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

٧٧ ـ لسان العرب ، لإبن منظور ، طبعة دار صادر ، بيروت ـ لبنان .

- م -

٨٧ ـ مجمع البيان (تفسير) ، للطبرسي ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان .

٧٩ ـ مجمع الزوائد ، للهيثمي ، طبعة سنة ١٩٦٧م .

٨٠ ـ المراجعات ، للسيد شرف الدين (ره) طبعة سنة ١٤٠٢ هـ .ق ـ بيروت ـ لبنان .

٨١ ـ مروج الذهب ، للمسعودي ، طبعة دار الأندلس ـ بيروت .

٨٢ ـ المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ، طبعة الهند ، سنة ١٣٤٢ هـ .ق .

٨٣ ـ المسترشد في الإمامة ، لإبن جرير بن رستم الطبري ، طبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ـ العراق .

٨٤ ـ مسند أبي عوانة ، طبعة الهند ، سنة ١٣٦٢ هـ .ق .

٨٥ ـ مسند أحمد بن حنبل طبعة مصر ، سنة ١٣١٣ هـ .ق .

٨٦ ـ مسند أبي داود الطيالسي طبعة سنة ١٣٢١ هـ .ق حيدر آباد الدكن الهند ثم نشر دار الكتاب ، ودار التوفيق .

٨٧ ـ المصنف للصنعاني ط سنة ١٣٩٠ هـ .ق .

٨٨ ـ معرفة الصحابة ، مخطوط ، في مكتبة طوب قبوسراي .

٨٩ ـ مقتل الحسين ، للخوارزمي منشورات مكتبة المفيد ، قم ـ إيران .

٩٠ ـ مكاتيب الرسول ، للأحمدي ، طبعة سنة ١٣٧٩ هـ .ق ـ المطبعة العلمية قم ـ إيران .

٩١ ـ الملل والنحل ، للشهرستاني طبعة مصر سنة ١٣٨٧ هـ .ق .

٩٢ ـ المناقب ، للخوارزمي ، طبعة الحيدرية ، في النجف الأشرف ـ سنة ١٣٨٥ هـ .ق .

٩٣ ـ مناقب آل أبي طالب ، لابن شهر آشوب ، طبعة مصطفوي ـ إيران .

٩٤ ـ مناقب علي بن أبي طالب ، لابن المغازلي ـ المطبعة الإسلامية سنة ١٣٩٤ هـ .ق ـ طهران ـ إيران .

٩٥ ـ منتخب الأثر ، للطف الله الصافي ، طبعة إيران ـ مكتبة الصدر .

٩٦ ـ منحة المعبود ، في ترتيب مسند الطيالسي ـ للساعاتي ، طبعة مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ـ مكة المكرمة ـ الحجاز .

٩٧ ـ الموفقّيات ، للزبير بن بكّار ، طبعة سنة ١٩٧٢م .

٩٨ ـ ميزان الإعتدال ، للذهبي ، طبعة دار المعرفة : بيروت .

ـ ن ـ

٩٩ ـ نثر الدرّ للآبي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٠٠ ـ نزل الأبرار ، للبدخشاني الحارثي ـ طبعة سنة ١٤٠٣ هـ .ق طهران ـ إيران .

١٠١ ـ النص والإجتهاد ، للسيد شرف الدين طبعة سنة ١٤٠٤ هـ .ق مطبعة سيد الشهداء ، قم ـ إيران .

١٠٢ ـ النهاية في اللغة ، لابن الأثير ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت .

١٠٣ ـ نهج البلاغة ، (جمع الشريف الرضي رحمه الله تعالى) طبعة الإستقامة بشرح عبده .

١٠٤ ـ نهج الحق ، للحلي ، مطبعة الصدر سنة ١٤٠٧ هـ .ق ـ إيران .

١٠٥ ـ نهج السعادة ، الطبعة الأولى ، بيروت ـ لبنان .

١٠٦ ـ نور الأبصار ، للشبلنجي الشافعي ، طبعة مصر ـ المطبعة اليوسفية .

ـ هـ ـ

١٠٧ ـ ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي ، طبعة اسلامبول ـ تركيا ـ سنة ١٣٠٩ هـ .ق .

٦ - الدليل الإجمالي للكتاب

٧ ـ الدليل التفصيلي للكتاب

الفهارس ١٠٣ ـ ١٢٨

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ الحياة لسياسية للإمام الرضا عليه السلام (ترجم الى الفارسية).
٢ ـ الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام في عهد الرسول والخلفاء الثلاثة بعده (ترجم الى الفارسية).
٣ ـ الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام (ترجم الى الفارسية).
٤ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) صدر منه حتى الآن عشرة اجزاء.
٥ ـ حديث الإفك (ترجم الى الفارسية).
٦ ـ المواسم والمراسم (ترجم الى الفارسية).
٧ ـ حقائق هامة حول القرآن الكريم.
٨ ـ ابن عباس وأموال البصرة .
٩ ـ ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة.
١٠ ـ الاسلام ومبدأ المقابلة بالمثل (ترجم الى الفارسية).
١١ ـ دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام صدر منه اربعة اجزاء والخامس قيد الطبع.
١٢ ـ الاداب الطبية في الاسلام (ترجم قسم منه إلى الفارسية).
١٣ ـ سلمان الفارسي في مواجهة التحدي (ترجم الى الفارسية).

١٤ ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام.

١٥ ـ الزواج المؤقت في الإسلام.

١٦ ـ الغدير والمعارضون (وهو هذا الكتاب).

١٧ ـ السوق في ظل الدولة الاسلامية (ترجم الى الفارسية).

١٨ ـ أكذوبتان حول الشريف الرضي.

١٩ ـ إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم.

٢٠ ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة الإثني عشر.

٢١ ـ دراسة في علامات الظهور والجزيرة الخضراء (ترجم الى الفارسية).

٢٢ ـ أبو ذر مسلمان ياسوسياليت (بالفارسية).

٢٣ ـ تحقيقي درباره تاريخ هجري (بالفارسية).

٢٤ ـ أهل البيت في آية التطهير.(قيد الطبع).

٢٥ ـ الخوارج تاريخيا وسياسيا (قيد الاعداد).

٢٦ ـ ظاهرة القارونية من اين الى اين.

٢٧ ـ بنات النبي ام ربائبه.

٢٨ ـ صراع الحرية في عصر المفيد.

٢٩ ـ تفسير سورة الفاتحة.

٣٠ ـ المدخل لدراسة السيرة والتاريخ.